الثقافة ثراء وسيرورة لا تنتهي

الأسبوع الأدبي

اتحاد الكتاب العرب

www.awu.sy

الأسبوع الأدبي - "السنة الثلاثون" العدد: "1503" الأحد 21 /8/ 2016م - 17ذي القعدة1437هـ | 16 صفحة | 25 ل.س

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن تصدر عن اتحاد الكتاب العرب في سورية

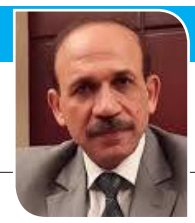

• د.نضال الصالح

الافتتاحية

«بعد» خراب البصرة

في السرديّات العربية القديمة أنّ أعرابياً وطئ إزار الأمير الغسّانيّ جبلة بن الأيهم وهو يطوف بالبيت، فما كان من جبلّة إلا أن هشّمَ أنفَه، فشكى الأعرابيّ أمرَه إلى عمر بن الخطّاب الذي خيّرَ جبلة بين أنْ يُرضي الأعرابيّ أو يقتصّ الأعرابيّ منه، فيهشّم أنفه، فوقعَ ذلك على جبلة وقعاً شديداً، وقال لعمر: كيف ذاك؟ هو سوقةٌ، وأنا عرشٌ وتاج. ثم طلب إليه أن يمهله إلى الغد، ثمّ غادرَ، وحاشيته، تحت جنح الظلام، ولحقَ بقيصرَ، ثمّ ندمَ أشدّ الندم بعد هزيمة الروم. ومن قصيدة تُنسَبُ إليه هذان البيتان اللذان يجهران بندمه على ما أثمَ بحقّ نفسه، وبحنينه الفادح إلى الشام: «فيا ليتَ أمّي لم تلدني وليتني، رجعتُ إلى القول الذي قالَ لي عُمرْ... وليتَ لي بالشام أدنى معيشةٍ، أجالسُ قومي ذاهبَ السمع والبصرْ».

وفي الشعر والنثر الكثيرُ من الأخبار والمرويّات التي تستعيدُ إلى الذاكرة ما تواتر عن العرب من قول في الندم، وفي كنيتها عن الندامة بأمّ العجَلة. ومن ذلك: «ولاتَ ساعةَ مندم»، و«ندامة الكُسعيّ»، و«أحمقُ من غبشانَ»، وسوى ذلك ممّا يعني، مرجعاً ودلالة، أنّ «العقلَ» خيرٌ وأبقى، وأنّ «الهوى» شرٌّ وأظلمُ. فكيف إنْ كان هذان المتضادان، العقلُ والهوى، يعنيان وطناً؟! وكيف إنْ كانَ ثانيهما، «الهوى»، حالَ مَن يُوصف بـ«المثقّف»، مهما يكن من أمر نسبته إلى «الثقافة» حقاً أو مجازاً، وواقعاً أو زيفاً؟!

حسَنٌ، بل واجبٌ، أن يراجعَ المرءُ، ولاسيّما المثقّف، نفسَه، أو يقومَ بجردة حساب مع موقف منه، أو مواقف، فيصوّبَ خطأً أثِمَ به، بل أن يقرعَ الأسنانَ ويعضَّ البَنانَ كما كانتِ العربُ تصفُ حالَ النادم. وأحسنُ الحسَن، بل واجبُ الواجب، أن يقترنَ فعلُ الانتقال من الخطأ إلى الصواب بالصدق، فلا يكون بسبب من هزيمة الخطأ، بل بسبب من الانتصار للحقّ.

لقد أمعنَ بعض «المثقفين» العرب في التصفيق للزيف العربيّ الذي اختار صانعوه مفردة «الربيع» علامة ضالّة له، وفي تمجيد ما زعم أولئك أنّه «ثورات»، فأتخموا الفضائيات، والصحف والمجلات، والدوريّات التي نبتتْ بسرعة، كما تنبتُ الأعشابُ الضارّة، كما أتخموا صفحاتهم في مواقع التواصل الاجتماعيّ، بالسوقيّ من العبارات، واللعنات، والعهر، والبغاء، ورؤية الواقع بعين واحدة، والأكاذيب ضدّ الآخر المختلف، والتهليل والتكبير للدم، والموت، والدمار، ثمّ ما لبثوا أن صمتوا، ليس امتثالاً للحقّ والحقيقة، بل خوفاً من خروجهم من المولد كلّه بلا حُمّص، بعدَ أن شُبّه لهم بأنّ أيّاماً، أو أسابيع، أو شهوراً، ويكون لهم مقعدٌ في عربة «النظام العربيّ الجديد» الممهور بخاتم «ماما أمريكا» بامتياز، فكانَ شأنهم شأنَ الأعرابيّ في حكاية المثل العربيّ القديم: «رجعَ بخُفّيّ حُنين».

في العامية مفردةٌ بديعة، وفصيحة، هي «التكويع»، ويُقصَد بها استدارة الشخص نحو جهة مفارقة للجهة التي أمعنَ السيرَ فيها، ولقد أثبتَ هذا «الزيف العربيّ» أنّ أكثر «العرب» طواعية للتكويع همُ «المثقّفون»، و«حملَة الشهادات» الذين لم يتورّع، القليلُ منهم أو الكثير، عن نقل البندقية من كتف إلى آخر، وما بين إغماضة عين وانتباهتها.

وبعدُ، أفلا يصحّ أن يصيرَ صدرُ الخطبة المشهورة عن الإمام عليّ، كرّم اللهُ وجهه، في وصف أهل البصرة، الذين كانوا قعدوا عن نصرة الحقّ، في وصف هؤلاء: كنتم جنْدَ الزيف، أو المال، أو الوهم، أو الأوهام، وأتباعَ الشيطان. رغا، فأجبتم، وعُقِرَ، فهربتم. أخلاقكم دِقاقٌ، وعهدكمُ شِقاقٌ، وكلمتكم نفاقٌ، وصوتكم زُعاق. وبعدُ أيضاً، وقبلُ، وأبداً، فما ينفعُ الصمتُ بعد عقر الناقة، أو الندمُ بعد خراب البصرة؟!

صلاح لبكي.. شاعر الليل والسأم

• عيسى فتوح ـــــ ص 7

فزعة عجفاء للشاعر محمود درويش

• رشاد أبو شاور ـــــ ص7

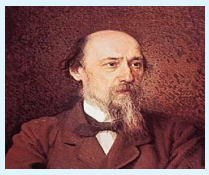

نيكولاي نيكراسوف أعظم شاعر روسي بعد بوشكين

• د. ممدوح أبو الوي ـــــ ص13

عبد الله النديم خطيب الشعب والأمة

• مها عبد الوهاب ـــــ ص2

ابن القفطي خير نموذج للوزراء العلماء

• محمد عيد الخربوطلي ـــــ ص6

قصة الصراع.. على سورية

كشفت الحرب على سورية مدى وحشية الأشقر الغربي الذي دمر الكثير من حضارات العالم بكل الهمجية والوقاحة والوحشية تحت يافطة خادعة /كاذبة/ صفيقة تقول: بـ تمدين العالم! حدث ذلك حين واجه الأشقر الغربي حضارات الهند، والصين، وأمريكا اللاتينية، وأفريقيا، وبلاد العرب، وإيران، واستراليا، وأندونيسيا، وماليزيا.. ففي تلك المواجهات أزاح الأشقر الغربي قناعه (المديني)، ليبدو وجهه على حقيقته الوحشية، وليبدو عقله على حقيقته الوحشية أيضاً والبادية على شكل الإبادة، والإرهاب، والدموية، وإلحاق الآخر به، أيّاً كان هذا الآخر.

الحرب على سورية اليوم، هي مشهد من مشاهد (ثقافة الوحشية) التي هي في صلب الحراك الذي عاشه الغرب منذ قرون طوال، عمرها أكثر من ألف سنة، إنها ثقافة /المصالح التي تتقدم كل شيء، ولا أدوات لها لتحقيق أهدافها سوى البطش، والدموية، والإخافة، وإقلاق المطمئن وتهديم العمران ليصير خراباً، وقتل الشعوب، وإسقاط الأنظمة من أجل (التبعية)، و(الإلحاقية) و(الإذلال) الذي يسمونه (تحالفاً)!

حول الحرب على سورية، وعمرها طويل ومديد، وكوارهها كثيرة ومتنوعة، صدر حديثاً كتاب حمل عنوان (قصة الصراع على سورية) وبالوثائق، للباحث الكويتي الدكتور عبد الحميد عباس دشتي، وذلك عن دار عبد الحميد دشتي الثقافية، ومن فصول الكتاب نقرأ: سورية والاستراتيجية الدولية والإقليمية، العلاقة السورية / الإيرانية، هل كان الرئيس حافظ الأسد معادياً للشعب أمريكي، المخطط أمريكي والمنفذون عرب وتكفيريون، والرابح (إسرائيل)، الأساطير المؤسسة لثورة التكفيريين في سورية. الفرق بين الوهابية ومذاهب أهل السنة. تفتيت المنطقة العربية إثنياً. ماذا يقول الأمريكيون عن خططهم في سورية. الجدول الزمني للأزمة السورية. عناصر تحريك الحروب الناعمة. كيف سيروي التاريخ المدون قصة تدمير سورية الحديثة. التجنيد والتنظيم للجماعات التكفيرية، قبائل تحركها الغرائز والأموال، الغرائز والدين، التجربة الغربية في الحرب على الإرهاب، الجيش السوري والحرب، الصبر مفتاح النصر في المعارك الأهلية (جبهة النصرة) وأمريكا والعرب وتركيا. (داعش) وتركيا والسعودية وأمريكا. حزب الله في سورية. تاريخ العلاقات السورية /الروسية. الشراكة العسكرية السورية /الروسية. هل الدفاع عن دمشق دفاع عن موسكو. إيران في سورية والعمق التاريخي للعلاقات بين البلدين. إيران وسورية من لبنان إلى فلسطين. كيف دافعت إيران عن سورية في وجه الأمريكيين.

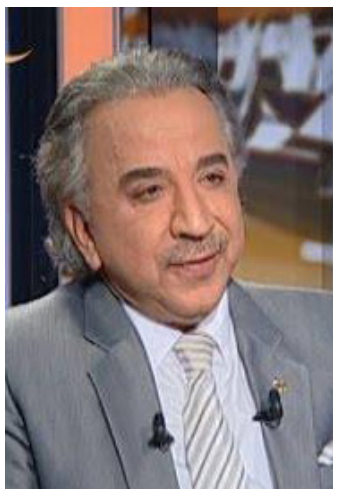

زوّد الكتاب بوثائق وصور شديدة الغنى والأهمية.

تجدر الإشارة إلى أن الباحث الكويتي الدكتور عبد الحميد دشتي، هو عضو مجلس الأمة الكويتي، وأحد أبرز المدافعين عن الشعب السوري، وهو من مواليد عام 1954، وخريج الكلية العسكرية الكويتية كضابط طيار. ودرس التجارة، والحقوق.

جاء الكتاب في حوالي 390 صفحة من الحجم الكبير.

خطيب الشعب والثورة...

•مها عبد الوهاب

عبد الله النديم

محمود سامي البارودي

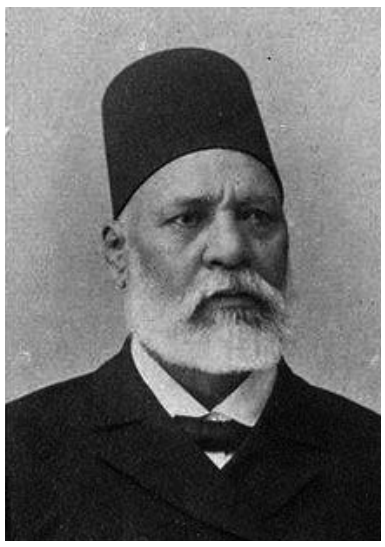
أحمد عرابي

الخديوي إسماعيل

عبد الله النديم قائد وطني مخلص، وكاتب (ثوري)، وخطيب شعبي مُفوَّه.. أعطى حياته، من ألفها إلى يائها، للشعب العربي المصري، ومن ثمّ لأمته العربية.. فقد قاوم الفساد والاستبداد، ودعا إلى الثورة.. وكان يعمل، صباحَ مساءَ، على شحذ همم العُرابيين ويوقد نار حميتهم، ويحضهم على الثبات في ثورتهم على الإنكليز... وبناءً على ذلك لا نجد أيّ غرابة في أن يلاحق المستبدون والمستعمرون الإنكليز (النديم) وينكّلون به..

لقد سار (النديم) على خُطا رائد من رواد الفكر الإسلامي هو جمال الدين الأفغاني (1839 / 1897 م) والعروبة ثقافة مكتسبة وانتماء وهوية حضارية كما يرى الأستاذ الدكتور عبد النبي اصطيف.

ولد (عبد الله) في الاسكندرية عام 1845 لأب فقير، لا يملك إلا (فرناً) صغيراً يعدّ فيه الخبز لأبناء الحي، ويكسب منه قوته وقوت عائلته.. وقد حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، وانتقل من الكتّاب إلى مدرسة الجامع الأنور، إلا أنه ضاق بطريقة التدريس فيها، فتركها بعد خمس سنوات.. وهناك عرف أستاذه الشيخ (العشري) الذي توسم فيه النجابة والذكاء وحضور البديهة.. فكان يصحبه معه إلى دكاكين التجار المولعين بالأدب حيث يتبادل معهم نوادر الظرفاء ومآثر الحكماء.. وكان يسامرهم ويِنادمهم فأطلق عليه اسم (النديم). ولكن والده لم يرضَ له هذا النوع من الحياة، فغضب عليه.. فترك (النديم) الاسكندرية وتنقل بين القرى إلى أن استقر في القاهرة حيث ساعده أحد أصدقائه على أن يعمل موظفاً بمصلحة (التلغراف) وهناك في القاهرة كان يجد متعته في التنقل بين ندوات العلم والأدب.. كما كان يتردد على حلقات الدرس في الأزهر فالتقى بالمشاهير من أهل عصره، أولئك الذين جمعتهم به الرغبة في مقاومة الفساد والاستبداد.. ومن أهم من التقى بهم (النديم) هو (جمال الدين الأفغاني) الذي كان يدعو إلى صحوة عربية وإسلامية تنفض عن شعوبها آثار الخنوع والذل والظلم.. من المستبدين والمستعمرين داخلياً وخارجياً.

وكان الخديوي (إسماعيل) يحكم مصر في ذلك الحين، وقد أثقل كاهل الشعب بالضرائب ونكّل بالفلاحين والفقراء، وأطلق لنزواته العنان في الاستدانة من الدول الأجنبية.. فاضطر في آخر الأمر إلى أن يسلم للأجانب شؤون البلاد المالية... ولما أحس بخطر (النديم) نفاه خارج القاهرة.. وكان ذلك بمثابة نقطة البداية في كفاح (النديم) الطويل والصعب والعنيد... فعاد إلى الريف داعياً إلى أفكار ومبادئ (الأفغاني).

في القاهرة انضم إلى جمعية (مصر الفتاة) التي كانت تعمل للقضاء على استبداد (إسماعيل) وكانت هذه الجمعية سرية، فلما أخفق في تحويلها إلى العلنية انصرف عنها، والتحق بحزب (الإصلاح) وهو حزب (الأفغاني) وحين أُبعد (جمال الدين) خارج مصر، أصبح (النديم) هو الزعيم الحقيقي للحزب. وأخذ يجوب البلاد، يرقى منابرها ليخطب في الناس، ويجلس مع الفلاحين ليحرك فيهم دوافع الثورة... وكتب في الصحف ثم أنشأ مجلة خاصة به سماها (التنكيت والتبكيت) ظاهرها الهزل وباطنها الجد.

وقد استطاع النديم خلال الجولات التي كان يقوم بها في أرجاء مصر أن يتصل بمنظمة الجيش السرية التي كان يقودها (عرابي) وكان الشاعر (محمود سامي البارودي) مندوبها في مجلس الوزراء.. وكان الضباط

> كان يجد متعته في القاهرة بالتنقل بين ندوات العلم والأدب.. كما كان يتردد على حلقات الدرس في الأزهر ويلتقي بالمشاهير من أهل عصره.

يرون في قلم (النديم) ولسانه أكبر عون لهم ومؤيد لقضيتهم. ولهذا قبلوا انضمامه إلى منظمتهم، فكان أول مدني يسمح له بالاشتراك فيها.

عندما زحف (عرابي) بالجيش إلى قصر عابدين، ليطالب بإسقاط الوزارة غير الوطنية وتشكيل مجلس شورى للأمة وإنصاف الوطنيين من أبناء الجيش، كان (النديم) ـ وقد أصبح الرجل الثاني في حركة الجيش ـ على رأس جماهير الشعب التي احتشدت وراء الجيش.. وتوالت الأحداث، أقيلَتْ وزارة (شريف) وحلّ محله (البارودي) وشغل (عرابي) منصب وزير الحربية، وبلغ (النديم) قمة مجده كخطيب ثائر...

وتمر الأيام سراعاً، وتأتي البوارج الإنكليزية والفرنسية إلى الاسكندرية.. وتقدم إنكلترا وفرنسا مذكرة إلى الخديوي بإسقاط وزارة (البارودي) ونفي (عرابي)... وكان ذلك، وقُبض على كل رجال الثورة، فأُعدم منهم من أُعدم، وسُجن من سُجن، ونُفي من نُفي.. إلا (النديم) فإنه بقي في مصر.. بقي تسع سنوات دون أن تبلغه يد الخديوي أو الإنكليز الذين جعلوا جائزة من يدل عليه ألف جنيه (هي الآن أكثر من مليون جنيه).. لقد احتضنه أبناء الشعب الأوفياء الذين كانوا يرون فيه قائداً وطنياً مخلصاً أعطى عمره كلّه لشعبه وأمته...

ولكن حين نزل (النديم) بقرية (الجميزة)، عرفه رجل شرطة متقاعد يدعى (حسن الفرارجي) وأبلغ عنه..؟! فنفي إلى بلاد الشام سنة (1891). (يقصد بالشام مفهومها المصري الفسيح الذي يشمل كل ما يلي حدود مصر الشرقية حتى الحدود السورية في أقصى الشمال).

أبحر عبد الله النديم من الاسكندرية إلى يافا، فاستقبله في مينائها عدد كبير من العلماء والأعيان، واستضافه مفتي (يافا) السيد (علي أبو المواهب)، فأقام في بيته شهراً حتى استأجر داراً خاصة، لم تلبث أن صارت منتدى أدبياً لعلماء المدينة وأدبائها. وعندما عفي عنه في العام التالي، وسمح له بالعودة إلى مصر، قام قبل عودته برحلة مع صديق له من يافا إلى مدينة القدس، ثم زار بعض المدن الفلسطينية الأخرى مثل نابلس والخليل وبيت لحم، وكان في كل منها موضع الحفاوة والتكريم. وقد أشاد النديم في مقال نشر له في العدد الثالث سنة 1983 من مجلة (الأستاذ) بما لقيه المصريون الذين نفوا إلى بلاد الشام من كرم الضيافة والترحيب...

(انظر: المصريون والفلسطينيون شعب واحد، بقلم: إبراهيم محمد الفحام، مجلة العربي ـ العدد 287/1982م).

عندما مات (توفيق) وحل محله (عباس)، عاد (النديم) إلى مصر ليكافح من جديد، فأصدر مجلة (الأستاذ) وأخذ يربي جيلاً جديداً من القادة، فنفاه الإنكليز مرة أخرى فأقام في (يافا) ثم (القسطنطينية)، حيث قاوم ظلم (أبي الهدى) صاحب الكلمة المسموعة لدى السلطان... ولما مرض بمرض السل طلب العودة إلى مصر، إلا أن المرض لم يمهله، فمات في (القسطنطينية) ودفن في حفل مهيب بمقبرة (باسكطاش)...

هكذا سكت (عبد الله النديم) القائد الوطني وخطيب الثورة العُرابية.. ولكن صوته مابرح حياً في الضمائر الوطنية والقومية الحيّة والحرّة...

التطرف عُقد لا معتقد

•د. سليم بركات

منذ أواخر القرن المنصرم والإسلام السياسي يتمدد في الوطن العربي إلى أن برزت معالمه السياسية من خلال ما يسمى بالربيع العربي، حيث تبعية هذا الإسلام السياسي، وتطابق مخططاته ونواياه مع مخططات ونوايا التحالف الإمبريالي الصهيوني الرجعي، ومع أن الديانات السماوية وفي الطليعة الدين الإسلامي جاءت رحمة للعالمين، تشيع التسامح، وترسي أسس العيش المشترك، لكن جماعة الإسلام السياسي جعلت من الوطن العربي وطن الكوارث والنكبات، بعد أن نصبت نفسها مسؤولة عن تنفيذ حدود الله دون أن تستوعب مقاصد الشرع العادلة، إلا من خلال قراءات مبتورة جاءت على ألسنة دعاة الفقه، ممن توهموا فهم الدين الإسلامي ومقاصده، معتقدين بشكل أو بآخر أنها هي الدين. ولما كانت هذه الجماعات الإسلاموية قد تميزت بالعقل المغلق، فقد وقعت فريسة الفكر الوهابي التكفيري، الذي ملأ الدنيا حقدا وإرهابا، وما زاد الطين بلة ما قدمه مستغلو هذا الفكر وأسياده من إمكانيات وأدوات بفضل ثورة المعلومات ووسائل الاتصال المتطورة لترويجه كي يتاح لهم تخريب البلاد العربية وهم يقدمون صورة مشوهة عن الدين الإسلامي على أنه دين عنف وإرهاب. الأمر الذي يؤكد أن المرجعية الفقهية للإسلام السياسي لم تكن ممن اهتموا بجوهر الإسلام وقدموا العقل كالمعتزلة، وابن رشد، ومحمد عبده وغيرهم من العلماء الذين رسخوا مفاهيم العقلانية والعيش المشترك، ودعوا إلى التعاون والتسامح بصرف النظر عن عقائد البشر ومذاهبهم، وإنما كانت مرجعيتهم الفكر الوهابي التكفيري المرتبط برعاته ومدبريه من المرتبطين في الفكر الإمبريالي الصهيوني الرجعي.

لقد شهد الوطن العربي خلافات فكرية تاريخية تتعلق بالدين الواحد، وبمواقف الأديان من بعضها البعض، لكن التكفير لم يكن وسيلة من وسائل الحوار في إطار هذه الخلافات، ولم تكن الدعوة لإراقة الدماء أمرا معتمدا في حوار العلماء والمفكرين، وبالتالي لم يكن هدم الدولة الوطنية هدفا لهذه الخلافات، كما يجري على أيد مدّعي الحراك العربي الذي ركب موجته الإسلام السياسي وأسياده، حراك كان في البداية لأسباب إصلاحية لا علاقة لها في التدين، لكنه تحول وبسرعة إلى فوضى مذهبية مدبرة حولت الوطن العربي إلى ركام كان المستفيد منه الكيان الصهيوني.

تشير المصادر والدراسات إلى أن المسلمين الأوائل عندما دافعوا عن معتقداتهم الدينية أن دفاعهم كان بدافع الوحي وكان تنفيذاً مباشراً لأوامر الله لكن هؤلاء من الإسلامويين الذين يضعون أنفسهم مكان الله يتصرفون استنادا إلى إيحاءات بشرية ببغاوية من دون أن يستخدموا عقولهم، ولأنهم عالة على المجتمع وخطابهم مقترن بالعنف والصراع الميت فهم في محنة حقيقية انعكست بلاء ليس على المجتمع العربي وحسب وإنما على مجتمعات العالم بأسره، بسبب همجيتهم المتداخلة مع تطرفهم الديني والتي ازدادت وضوحا بعد إعلان ما يسمى بالخلافة التي يعني إعلانها عولمة الإرهاب بكل ما تحمل الكلمة من معنى.

تحتاج معالجة ظاهرة التطرف إلى الإحاطة بدواعيها وحواضنها من أجل السيطرة عليها لأنها ظاهرة وليست عقيدة ولا دينا، ولو كانت كذلك لما طالت كل مناحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ومع أن التطرف لا يقتصر على دين بعينه وهو موجود في كل الأديان السماوية والوضعية، لكنه دليل على غياب القيم، وعلى غياب الجانب الإنساني للطبيعة البشرية، إنه ليس تشريعا من رب رحيم فتح للناس باب التوبة، ولم يكرههم على الدخول في الدين، حتى لا يجيز القتل والسلب والحرق والتدمير. لكنه نزوع بشري فاشل حتى في إنتاج الأحكام الموضوعية أو في إنتاج هوية وطنية جامعة. إنه حالة مرفوضة اجتماعيا تعيق التواصل بين أبناء المجتمع الواحد، وتحدث التفكك الاجتماعي، وتهدد السلم الأهلي. وهو أنواع منه الديني، ومنه السياسي، ومنه العلماني... وكلها تعزز حالة الاستبداد وتلغي الآخر وتتعامل من موقع النفي والإبعاد. إنه حالة تتطلب تحليلاً عميقاً ودراسات عقلانية موضوعية كي يكون التمكن منها ومعالجتها باقتلاع جذورها، والتخلص من شرورها وتبعاتها.

لابد من دور للثقافة في مواجهة التطرف الديني والعقائدي، الذي لا يعصف في الوطن العربي وحده بل بالعالم أجمع، لابد من إعلاء صوت العقل في مواجهة التطرف حتى تتوقف دعوات العداء بين المذاهب، ويكون تجريد أصحابها من منابر الدين والسياسة، لابد للرادع القانوني من أن يأخذ مداه في مواجهة دعاة التطرف حتى يكون التعايش الإنساني المشترك، لابد من تمكين أصوات العلماء والمفكرين من بناء الجسور بين أطياف المجتمع الواحد، لابد من نشر رسالة السلام المجتمعية في ضوء مشروع وطني جامع وعابر للطوائف والمذاهب والأعراق، لابد من مؤتمرات وملتقيات وطرق تواصل تتلاقى وروح العصر المبنية على ثقافة النقد، لاقتلاع روح التعصب وتضييق الفرص أمام المتطرفين، لابد من مرجعية شاملة لمنظومة التفكير الفقهي الديني والعقائدي لنزع فتيل التطرف من مقولاتها، لابد من إزالة حالة الاحتقان الديني والسياسي بوساطة مشاريع فكرية مشتركة تعيد الاعتبار إلى السياق الوطني القومي الجامع لمقومات الأمة العربية، والنابذ لكل العصبيات التفتيتية والتشتيتية، لابد من تحصين الذات العربية بتمتين أبعادها الإنسانية.

> لم يبق للشعب العربي تجاه ما يجري في ساحته سوى التضامن والاتحاد كي يواجه الإرهاب.

لم يبق للشعب العربي تجاه ما يجري في ساحته سوى التضامن والاتحاد كي يواجه الإرهاب، لم يبق له سوى الارتقاء إلى المستوى الذي يستطيع من خلاله الاطمئنان على حياته وعلى مستقبل أبنائه. وعليه أن يتذكر دائما وباستمرار أن السلاح الأمضى في مواجهة الإرهاب هو التلاحم الوطني القومي الذي يبدأ بالموقف التضامني المشترك، المتجاوز للخلافات والأوهام، التي مزقت الأحلام، وهدرت الطاقات، وشغلت بالنظرات القاصرة عن ما هو أبعد، بعد أن أضعفت المشكلات الآنية قدرة الشعب العربي على التطور إلى ما بعد المرحلة العابرة للأخطار. ما يبعث الأمل هو الالتقاء في مشروع وطني قومي مقاوم قائم على لغة الحوار، يزيل النزاعات المؤلمة، ويقرب من التفكير السليم والتأمل الهادئ، مشروع يمكن من تجاوز المرحلة المأساوية التي فرزها مجانين ما يسمى بالربيع العربي ممن لا ضمائر لهم، ولا قلوب، ولا قيم، تتجه بالوطن العربي نحو الأمن والاستقرار.

نقطة على حرف • مالك صقور

معجزة سورية سورية المعجزة

كتب جيفرسون إلى مونرو في عام 1816 رسالةً عبّر فيها عن الذل والهوان والاستغلال الذي يتلقاه الأميريكيون من المستعمرين البريطانيين، ومن جملة ما جاء فيها: «بريطانيا – هي عدو للجنس البشري بأكمله، وليس لأمريكا وحدها».

بعد أسابيع من هذه الرسالة، كتب آدمز يقول: «إن بريطانيا تعلّم أبناءها احتقارنا وإهانتنا والإساءة إلينا. ولن تصبح لنا صديقة حتى نصبح نحن سادتها».

لذلك، علينا أن ندعو: أجارنا الله من حكم المحكوم، وظلم المظلوم، وهكذا، وصارت أميركا السيد المطلق ليس على أوروبا العجوز، وليس على الامبراطورية البريطانية التي استعمرت أميركا وتسيّدت حتى نالت استقلالها، بل صارت «زعيمة» العالم، و(بلطجي) العصر، لا سيما، بعد انهيار الاتحاد السوفييتي. وقد حاولت، وما زالت تحاول أميركا أن تمسك بخناق الكرة الأرضية. هذا الكوكب الحائر الخائب، صارت الآمر الناهي، صارت موزعة الشرّ والرياء والكذب والنفاق والفجور، وهي أعتى امبراطورية امبريالية، تسعى وما زالت إلى إهانة الشعوب المستضعفة، والشعوب النامية- وتحاول جرّ البلدان القوية، كي تصبح تابعة لها، مستخدمة عملات كثيرة في سبيل تحقيق ذلك: الصهيونية، الماسونية، الوهابية: «ذلك: بالقوة العسكرية، ونهب الثروات، والغزو، والاحتلال، ضاربة بعرض الحائط كل مبادئ ويلسون وحقوق الإنسان، والحريات، والشرعية الدولية، ومبادئ الأمم المتحدة، وسخرت «مجلس الأمن» لتنفيذ مآربها. وكما يقول المثل من شبّ على شيء، شاب عليه. وهكذا، أباد الأميركان السكان الأصليين من الهنود الحمر، وأهانت أميركا اللاتينية وأذلّت الزنوج... احتلت فيتنام وقتلت أكثر من نصف مليون فيتنامي وهدّمت أكثر من مئة ألف بيت فيها. وخرجت منها صاغرة في النهاية. ولكن، كأن شيئاً لم يكن، فعلت أميركا العجائب في القارة السمراء. وأرست دعائم العنصرية، ومارست كل ما مارسته إنكلترا من قباحات في جنوب أفريقيا. ألقت القنبلتين الذريتين لأول مرة في اليابان على مدينتي هيروشيما وناغازاكي، وقتلت، وشردت الملايين، وما زالت تأثيرات الإشعاعات النووية باقية في هاتين المدينتين، ومضى كل شيء، وكأن شيئاً لم يكن. أبلست النظام العراقي واتهمته بما ليس فيه، فغزَتْ العراق، واحتلته، ومزقته، ونهبت خيراته، وسرقت نفطه وما زالت، وقتلت أكثر من مليون طفل عراقي، وهجّرت أكثر من خمسة ملايين عراقي وكأن شيئاً لم يكن.

فإلى متى هذه الغطرسة، وهذه العنجهية، ومن يستطيع أن يوقف هذا الشر بلا حدود، وبلا نهاية؟!

•••

همس هذا الأميركاني الكالح القابع في البيت الأبيض في أذن الصهيوني المتربص في فلسطين المحتلة: كي تحمي نفسك، وتزيد مناعتك، وتوسع مملكتك وتجعلها من الفرات إلى النيل، أقول لك:

-فلسطين وحدها لا تكفي

-وتمزيق العراق لا يكفي

-إضعاف إيران لا يكفي

-زوال ليبيا وغرقها في الاقتتال لا يكفي

-تحطيم اليمن لا يكفي

-نهب ثروات النفط في الجزيرة العربية لا يكفي

-إضعاف مصر وتحييدها لا يكفي

أمامك الخطر الأكبر، هي سورية، فعليك تحطيم جيشها، وتحويل جبهتك معها، إلى جبهات مفتوحة على كامل أراضي سورية. عليك استنزاف اقتصادها.

عليك إثارة الفتن والاحن، «الطائفية»، «الاثنية، والمذهبية، والقومية، عليك إسقاط سورية، وحزب الله عن طريق الحرب بالوكالة، واجلس مستريحاً تتفرج.

•••

وتدفقت القطعان الهائجة، من كل صوب، واستخدمت بعض الثقوب الضيقة في الثوب واجتمع أهل الكفر، والشر، من أنحاء ثمانين بلداً وأزيد، يحاربون سورية.. وانتظر الواهمون في الخارج والداخل انهيار سورية. ست سنوات مرت على هذه الحرب الظالمة القذرة، ست سنوات، استُخدم في هذه الحرب ما لم يستخدم في أي حرب، ست سنوات من الحصار، ست سنوات والمخابرات المركزية الأميركية، والبريطانية، والفرنسية، والصهيونية، والتركية، والقطرية والغرف السود، وإدارة العمليات في البلدان التي ذكرت. وبقيت سورية صامدة، بقيت صابرة، بقيت منتصرة، وهذا ما سيسجله التاريخ تحت عنوان كبير: معجزة سورية. سورية المعجزة.

أصابع السرطان - خيانات الجسد

• د. ثائر زين الدين

« أصابع السرطان – خيانات الجسد » هو عنوان الكتاب الجديد الذي صدر عن اتحاد الكتاب العرب للأديبة نجاح إبراهيم ، ضمن إصدارات عام 2014. يدورُ الكتابُ في فضاء إحدى الموضوعات الكُبرى في الوجود؛ بل أقول في فضاء الموضوعة الأولى أو الرئيسة « الموت »؛ هذه الموضوعة التي تنبثق عنها عشرات الثيماتَ، مما شَغَل إبداع المبدعين منذُ الأزل، وقد لا أجانبُ الصحةَ لو قلت: الموضوعة التي جاءت الأديان كُلها سماوّيةً وأرضيةً محاولةً تفسيرَها، ووضع الإجابات عنها، ومنح الإنسان الأملَ في مواجهتها.

إذاً كتاب نجاح الجديد يدورُ في فلك هذه الموضوعة، بصورة لا فتة، فهي تريدُ أن تَبحثَ أدبياً في سلوكَ مجموعة من الناس، يقفونَ وجهاً لوجه أمَام الموت المُحتم، ليس الموت في المعركة، أوَ في المعتقلات، أو في المغامرات، أو الانتحار، ولكن أمام الموت القادم في براثن مرض لا راد له؛ مرض ماَ دخل جَسداً حتىَ الآنَ إلا هزمه... ثمَّ مَن هم هؤلاء الناس ؟ هل كانت مادةُ كتابها مأخوذةً من المجتمع لا على التعيين: نجار.. حداد.. معلم.. بائع.. لا؟! لقد انتقت نخبةً من أهم المبدعين العرب جلهم من الشعراء؛ ممن أصابهم هذا المرض فكانوا مادةً لكتابها.. للوهلة الأولى يبدو هذا الموضوع خاصاً بعلماء النفس، وأساتذة التحليل النفسي والاجتماعي، وكبار الأطبَاء، وهو عملياً يحتاجُ إلى معارف هؤلاء، لكن الكاتبة ستذهبُ مذاهبَ أخرىَ في معالجة موضوعها، وهي تصرحُ في الإهداء ومنذُ الصفحةُ الأولى إنها إنما أرادت أن توقد شمعةَ احتفاءً بأرواح نخبةٍ من المبدعين، الذين خانتهم أجسادهمَ، وظلّوا مدى الألم يكتبون ويرشحون عطاءً ورغبةً في الحياة... هؤلاء الذين لا تغيبُ أرواحهم؛ وتبقى أعمالهم خالدة؛ ثمَ يأتي الإهداء الثاني في الصفحة التالية تحت عنوان» إهداءٌ أكثر خصوصيةً» تقول فيه: « يخونُ الجسدُ، الأهلُ، الأصدقاءُ، لكنَ ثلاثةً لا يعرفون الخيانة: اللّه والوطن وفرحٌ مخبوءٌ يتألقُ كما الخرز الملون في عينين انطوى أمامهما الغياب»، وبرأي أن هذا الإهداء جاء تحتَ وطأة ما تعانيه البلاد منذُ خمسة أعوام ونصف، وماَ عانتهُ الكاتبةُ والناسُ جميعاً في سوريا، ولكنهُ على جماله وشاعريته يبتعدُ بنا عن مضارب الموضوع الرئيس.. ويَشوشُ رؤيانا، ويطرحُ ثيمةً جديدةً تحتاجُ كتاباً أخر.

أسئلةٌ مجنونةٌ لائبة:

في المقدمة التي حملت هذا العنوان تفتتحُ الكاتبةُ أسئلتها بسؤال محوري: « كيف يستمرُ الحبرُ في إغواء المبدعَ ليستأنفَ الكتابة، وهو بين أصابع مرض لا يَرحم وحضرة موت قاسٍ يأبى إلا أنَ يأتيَ؟» ص11 .

ثمَ تتلاحق الأسئلةُ اللائبة المجنونة - كما وصفتها نجاح – أيةُ كتابة تلك؟ ما طعمها؟ ما لونها؟ ما شكلها؟ ولمَ « لمَ تخن بعض المبدعين مثلما خانَ الجسدُ، وظلت عند حسن ظن المبدع بها؟ « ص11، ولماذا لم يلق المبدعُ بأسلحتهَ كما فعلَ سواه، ويسلسُ القيادة لطعنة الزمن؟ وتضربُ الكاتبةُ أمثلةً متباينةً علىَ علاقة الشاعر بالموت؛ فالشابِّي يرحبُ به، ولا يخشاه، ومحمد الهمشري يكتبُ ملحمةً كاملةً « شاطئُ الأعراف»، يسيطرُ عليها الإحساسُ بالحبِ تجاهَ الموت؛ لا الخوف منه ولا الحسرة أو الندمَ، لكنَ من ستخصُهم بكتابها هم أدباء كانوا أكثر رغبةً في الحياة، وأشد تمسكاً بها، « لأن ما لديهم - كما تقول- لما ينته بعد، ولم ينضب وكانوا أشد كرهاً للموت؛ لأنَهُ يقطعُ الطريق أمام نزفهم الأرجواني الخلاّق... ولهذا فقد صارعوهُ حتى آخر قطرة من حبرهم» ص13؛ إنهم على التتالي: بدر شاكر السيّاب، وأمل دنقل، وسنية صالح، وسعد اللّه ونوّس، وإميل حبيبي، و ممدوح عدوان، و نعمات البحيري، وتبيّن الباحثة أن ما حثّها على إنجاز مشروعها هذا هو قراءتها كتاب الروائي عبد الرحمن منيف « لوعة الغياب» ، الذي تحدّث فيه عن مبدعين راحلين أمثال: « جبرا إبراهيم جبرا، الجواهري، قبّاني، سعد اللّه ونوس، إيميل حبيبي،.. وسواهم، لكن فكرة دراستها ستكون مختلفة؛ لقد أرادت – كما عبّرت بنفسها – « رصد ما تركَ هؤلاء المبدعون المصابونَ بالسرطان من كتابات، وهم في صراع بين الحياة والموت، بين الشفاء والابتلاء، بين الحلم والواقع، وبالتالي معرفة الأفكار التي تناولوها، ومن ثُمَّ اطلاعنا على الحياة النفسيّة التي كانوا عليها قبلَ الموت، وعلى التجربة التي عاشوها، والاعترافات والأسرار التي تنطوي عليها، وكيفَ أخذتهم غواية كتابة اللحظة، اللحظة التي عايشوها، لحظة التماسَ مع الموت «ص17.

وإذا كانت الكاتبةُ في مقدمتها الجميلة قد اعترفت بأن ما كتبتهُ هو « كتاباتٌ ترصدُ الاقتراب من النار لفراش ملون أكثر من الحديث عن النار نفسها، وما النّار سوى هذا الضيف المخيف المرعب الذي يخبئُ فناءً ورماداً، ولا مناصَ من استقباله ..» ص18، إذا كانت تعترف بذلك فإنها في أكثر من موضع من المقدمة، ومن فصول الكتاب تقولُ إن هؤلاء المبدعين « رحلوا جراءَ إخفاقهم بالانتصار على المرض» ص19.

ولاحظوا كلمة « إخفاقَهم »، أو بأنها تتمنى أن تكتب لاحقاً عن « مبدعينَ آخرين قاتلوا الموتَ وكسروهُ وقيدوه وانتصروا عليه، لا أن يلقوا أسلحتهم، ويستسلموا للرحيل « ص19.

وهنا بدا لنا الأمر كما لو أن أولئك الأدباء هم الذين قصروا في مقاومة الموت؟ أو كما لو أن الأمر بإرادتهم.. بأيديهمَ أو أيدي سواهم؟ والمسألة غيرذلك تماماً كما تعلمون!

ستةُ فصول:

بعد ذلك وفي ستةَ فصول مقسمة إلى فقرات مستقلة تتحدثُ الكاتبةُ عن مكابَدات أولئكَ المبدعين وهم يصارعون السرطان، وعن خيانة الجسد لصاحبه، كما لو أن الأمر بيد ذلك الجسد أو صاحبه -كما أشرنا- وتسلط الضوءَ على نتاج هؤلاء الأدباء جَرّاء الصراع مع المرض، وتجيدُ في ربط إبداعاتهم بالحالات التي ولّدتها، وقد تنفذُ إلى أعماق النصوص والأساطير المستلهمة فيها، وكيف خدمت النصوصَ فنياً ومعنوياً، كما هي الحال مثلاً عندما تحدّثت بصورة شفيفة عن سنية صالح في قصيدتها « غرابٌ يَطلبُ الغفران »، وهو آخر نص كتبتهُ الشاعرة قبل رحيلها، فقد اكتشفت نجّاح إن الشاعرة إنما تستحضرُ حكاية حمامة نوح؛ الذي أرسله النبي علّه يبشّره باقتراب فُلكه من اليابسة.. فمضى دون أن يعود.. فأرسَل نوح حمامةً .. عادت بغصن زيتون!.. سنيّة صالح – وفق نجاح إبراهيم – وقد استشعرت النهاية؛ وعانت ما عانتهُ من جلسات الكيمياء والأشعة تتحوّلُ في نصها إلى غراب؛ غراب ترمزُ به إلى نفسها العاصيّة، غراب نوح الذيَ عصا نبيَه وهجَرَهُ.. وتبدو وكأنها تطلبُ المغفرة: « من أخافكَ أيها الغُراب؟ / من أقضَ مضجعك حتى/ هجرتَ السفينةَ المدبرة لأمور الخزائن / أيها البريء مثلَ مياه الينابيع؟» ص117.

الشاعر الذي جفاهُ الإله:

الفصل الأوّل من الكتاب خصّتْ به الباحثةُ الشاعر السيّاب تحت عنوان: « الشاعرِ الذي

أرادت أن توقد شمعةَ احتفاءً بأرواح نخبةٍ من المبدعين، الذين خانتهم أجسادهم، وظلّوا مدى الألم يكتبون ويرشحون عطاءً ورغبةً في الحياة.

تسلطُ الضوءَ على نتاج هؤلاء الأدباء جَرّاء الصراع مع المرض، وتجيدُ في ربط إبداعاتهم بالحالات التي ولّدتها.

جفاهُ الإلـه، فقالَ: لا يجفو « وهو مقبوسٌ من قصيدة «قالوا لأيوب» ؛ وبالمناسبة وقفتْ الباحثة دوماً باختيار عناوين الفصول والفقرات الفرعيّة، فجاءت كلها عاليةَ الترميز؛ كثيرة الإيحاءات. الحديثُ عن السياب بقدر ما يبدو سهلاً وممكناً لأسباب كثيرة تعرفونها، فهو ينطوي على عديد من الصعوبات؛ لقد قيل وكتبَ عن الرجل وأدبه الكثير؛ فماذا سيكون بإمكانكَ أن تضيف؟!

الحقيقة إن إضافات الكاتبة في هذا الفصل تبدو لي قليلةً جداً؛ فقد بدأت بالحديث عن ولادة السياب في جيكور عام 1926، وعن ابتلائه بالمرض عام 1962، ورحيله بعد ذلك بعامين ونصف، وذلك أن جسد الشاعر في الأساس كان ضعيفاً- كما تقول – ومؤهلاً للفناء بالمرض ص23وتشيرُ إلى أن فترة مرض الشاعر كانت الأغزر إنتاجاً شعرياً فقد كتب مثلاً خلال ستة وأربعين يوماً ما لا يقل عن أربعين قصيدة، لتقفز الكاتبة بعد عشرين السطر السابقة إلى الحديث عن اهتمامات الشاعر الوطنية والقومية، وكيف أنه إنما أراد أن يصمد في وجه المرض " ويضاعفَ من عمره؛ أن يزيدهُ أعماراً ليستطيع الدفاع عن العراق الذي ما نسيهُ على الرغم من الآلام والاغتراب ، والجراح ، العراق الذي رغب أن يخلصهُ من الظلم والطغاة"، وتستشهد بسطرين من قصيدة " أغنيَة ثائر عربي من تونس لرفيقته"، ولا أعلمُ هل أخطأت الاختيار أم أنها فعلاً أرادت ذلك.. ومع أنني قد اتفقَ مع الباحثة في بعض ما ذهبت إليه، لكنني أظن أن ما سماهُ بعضُ النقاد ذات يوم " ألم السياب الاجتماعي" ؛ وهو وليدُ الحرمان والاضطهاد السياسي وما سبباه له من هروب وتشرد وسجن، قد أخلى المكانَ إلى حد بعيد لما يمكن أن نسميه "الألم الفردي"، لقدّ قهرَ ألمُ المرض و إحساس الشاعر بأنه أمسى وحيداً أمام مصيره المحتوم قوّة الشاعر على الصمود و متابعة النضال الشاق الذي لا تتحملهُ حتى الأجسادُ المعافاةُ الجبارة .. فكيفَ بجسد جرحتهُ مباضعُ الأطباء، وما عاد يحملُ صاحبَه إلا على عكازين.. لقد أضحى الألم في هذه الحالة ألم الشاعر وحده، ما من أحد يمكنُ أنَ يقاسمه إياه، وأصبح الموتُ المتربصُ بهَ والقادمُ بعناد موته وحدهُ أيضاً، ولعل كل ذلكَ مترافقاً مع موهبة شعرية فذة مكن السياب من أن " يرصدَ نفسهُ لحظةً فلحظةً، وأن يسجل شعراً ألوان انفعالاته وظلالها وتعرجاتها وتناقضاتها، بحيث يمكننا أن نعتبر شعرهُ في هذه الفترة وثيقة نفسيةً وفنيةً تصور العالمَ الداخلي لإنسانٍ أشرفَ على الموت ووثقَ من أنَه سيموت"(•)

على أن هذا الرصد الذي أتحدّث عنه لم يكن تسجيلياً صرفاً ولم يكن على حساب فنيات الكتابة، بل يمكن أن نرى بعد قليل أن ذلك الألم جعلَ الكثير من نصوصه شديدة الخصب فنيّاً؛ كما هي الحال في " سفرَ أيوب " ... وهنا لا بُدَّ لي من أن أرجو الباحثة أن تعود إلى هذا الفصل؛ وتعمل على هذه الفكرة بالتحديد؛ التي لامستها ولا شك مُلامسة دون أن تعمق فيها؛ وأن تتساءَل بعمق لماذا استدعى السيّابُ نموذجاً من الشخصيّات القادمة من التراث مثل " أيوب " وكيفَ عَملَ عليه؟ لقد لبسه قناعاً في مواضع كثيرة؛ والتَصق بهَ القناع حتى لا نكاد نميّز بينهما فيه:

" لك الحمدُ مهما استطالَ البلاءْ.
لك الحمدُ إن الرزايا عطاءْ.
وإن المصيبات بعض الكرمْ.
ألم تعطني أنتَ هذا الظلامْ .
وأعطيتني أنتَ هذا السَحَرْ.
فهلْ تشكرُ الأرضُ قطرَ المطرْ
وتغضبُ إن لم يُجدها الغمام
شهورٌ طوالٌ وهذي الجراحْ
تمزّق جنبي مثلَ المدى
ولكنَ أيوب إن صاحَ صاحْ:
لك الحمدُ، إن الرزايا ندى..."

•صباح جهيم ونجيب مطر

سورية.. قصيدة السلم، وملحمة الحرب...

• غياث رمزي الجرف

(إنّني أؤمن بحقّي في الحرية، وحقّ بلادي في الحياة، وهذا الإيمان أقوى من كل سلاح، وحينما يقاتل المرء لكي يغتصب وينهب، قد يتوقف عن القتال إذا امتلأت جعبته، أو أنهكت قواه، ولكنه حين يحارب من أجل وطنه يمضي في طريقه حتى النهاية...)

عمر المختار

الشآم.. الشريان التاجيّ النبيل الذي حمل – وما يزال – الأنوار الروحانية من القلب السماوي إلى الجسد الأرضي؛ فمنها انطلقت رسالة السيد المسيح الإنسانية السامية إلى العالم.. ومنها انتشرت الرسالة المحمدية الكريمة.. وما كنيسة القديس بولص، وجامع بني أمية إلا رمزان ساطعان على بهاء المحبة في دمشق، وعلى دورها المجيد عبر العصور.. إلى يومنا هذا.

وتحت ثرى الشآم يغفو كبار الفلاسفة والكتاب والشعراء.. من الفيلسوف الدمشقي (داماسكيوس)، ومن (المعلم الثاني) أبي نصر الفارابي، والشيخ الأكبر (ابن عربي)... إلى حسين مروة، ونزار قباني، وأبي سلمى، والجواهري، والبياتي...

وسورية الشآمية الطبيعية كانت – دائما وأبدا – مَقبرة للغزاة والمستعمرين والغرباء.. قديما وحديثا، وأديمها من أجساد شهداء خالدين ما برحت أرواحهم تضيء حياتنا وحريتنا وكرامتنا...

تأسيسا على ذلك استعصت سورية الوطنية، العروبية، المقاومة.. على أعداء الحياة ومجرمي الحروب ومهندسي إرهاب الدولة، ولا سيما الأمريكي الداعم المطلق لإرهاب الكيان الصهيوني، واستعصت، كذلك، على التنظيمات والقوى الظلامية، التفتيتية، التكفيرية، الخارجة على جميع القيم الإنسانية الأزلية... التي تخطت جرائمها جرائم النازية والفاشية وتجاوزتها، والتي تعمل على إعادة البلاد والعباد إلى ظلمات القرون الوسطى.. وسفر التاريخ يدوّن في صفحته الأولى: سورية قصيدة السلم عند السلم، وملحمة الحربَ وقت الحرب...

•••••

في مقام ذكرى حرب تشرين التحريرية، مقام فعل البطولة والتضحية والفداء والشرف... وفي الأجواء الشعرية الرحيبة، أذكر، فيما أذكر، قصيدة (ترصيع بالذهب على سيف دمشقي) لقنديل الشعر العربي الأخضر في القرن العشرين نزار قباني التي هي من القصائد العربية الأولى التي استجابت على نحو غنائي وجداني بديع خلاق لمعارك التحرير التي انطلقت في السادس من تشرين الأول عام (1973) على هضاب الجولان ومرتفعاته، وضفاف سيناء وأمواج قناة السويس في البر والبحر والجو:

جاء تشرينُ يا حبيبةَ عمري
أحسنُ الوقت للهوى تشرينُ
شمسُ غرناطة أطلّتْ علينا
بعد يأس وزغردَتْ ميسلونُ
آه يا شام كيفَ أشرحُ ما بي
وأنا فيك دائما مسكون

وأذكرُ بكثير من الحنين والحبّ والفخر.. المقاتل العربي الشهم المقدام الذي استطاع أن يرقى جبل الشيخ وربا الجولان، ويعبر القناة ويتحدى القوة الغاشمة، ويزلزل كيان العدوان والاغتصاب والاحتلال والإرهاب الصهيوني على أرضنا العربية، وأن يعيد إلى أمتنا إرادتها الحرّة وثقتها بنفسها وبقدرتها على تحرير الأرض والإنسان.. والذي استطاع، كذلك، إسقاط الاتهامات القاسية التي وصمته بها نكسة حزيران المريرة.. وتجاوز عقدة الذنب والخوف واليأس والأحزان الوجيعة...

وصور شعراؤنا، فيما صوروا، بطولة (العبور) عبور القوات السورية والمصرية للحواجز الطبيعية المانعة وتحطيمها لأسطورة جيش الكيان الصهيوني الذي لا يقهر.. وأعطوا فكرة العبور المادي بعدا رمزيا وطاقة تجريدية ومعنى روحيا في قصائدهم على أنه عبور من عصر إلى عصر... قال شاعر المقاومة (توفيق زياد) يحيي معجزة العبور:

كان العبور مقدسا والشمس في عزّ الظهيرة
والشآم تعود للجولان زاحفة على جسد الردى..
والناس الدمشقيون كالغضب المقدس يزحفون ويزحفون
كان العبور مُقدسا، ومقدسا يبقى الوطن...

وأذكر تلكِ الصورة الرائعة الحية التي رسمها الشعر للمقاتل العربي؛ فقد أبرزته بطلا إيجابيا واعيا يجسّد آمال أمته في التحرير، ويبذل أعز ما يملك الرجال من أجل هذا الهدف الغالي النبيل.. وحين اشتعلت المعارك وتوهجت نيرانها.. انطلقت أصوات شعراء العروبة لتمجد بالقصائد المحاربة بطولات المقاتلين الميامين، وها هو الشاعر العربي المصري (صلاح عبد الصبور) يكتب (رسالة) يوجهها إلى أول جندي عَبَرَ خط (بارليف) الحصين وانطلق داخل الرمال ورفع العَلم في القسم المحرر من سيناء وانكفأ على الأرض يقبلها ويبكي:

ترى ارتجفت شفاهك
عندما أحسستَ طعم الرمل والحصباء
بطعم الدم مبلولا
وماذا استطعمت شفتاكَ عند القبلة الأولى..؟

وأذكر الشاعر الوطني، العروبي، الإنساني بامتياز (سليمان العيسى) الذي وهب حياته وقلمه لوطنه وأمته العربية، والذي توهجت في قصائده قدسية الشهادة والبطولات والتضحيات وروعة الفداء وعظمته... وأضاءت شعره وحياتنا:

ناداهمُ البرق فاجتازوه وانهمروا عند الشهيد تلاقى اللّه والبشرُ
ناداهمُ الموت فاختاروه أغنية خضراء ما مسّها عود ولا وترُ

مرة أخرى، ونحن نحتفي بذكرى تشرين الجليلة.. التي ما فتئت نبراسنا وبوصلتنا.. أقول: أرض سورية العروبية الشآمية الطبيعية ستكون - لا بدّ – مقبرة للغزاة الصهاينة، والمشاريع الإمبريالية الأمريكية/ الغربية.. ومقبرة للرجعية العربية التي عُرفت تاريخيا بدورها الوظيفي التخريبي العميل... وستكون مقبرة للعثمانية الجديدة المعاصرة.. وللأفكار الوهابية التكفيرية النازية.. والمنظمات الإرهابية الدموية المتأسلمة الظلامية والباغية.. التي ما زالت تعمل على تدمير مبرمج لكل مظهر من مظاهر الحياة الإنسانية في بلادي الباقية بقاء الزمان.

تحية شكر وتقدير وعرفان ووفاء إلى شهداء تشرين.. وإلى كل شهداء الوطن على امتداد الأرض العربية السورية المباركة.. وكل ذكرى وسورية الخالدة وشعبها الصامد الأبيّ بخير وأمان وسلام...

جبرا إبراهيم جبرا

• د.حسن حميد

حين ينتهي المرء من قراءة المدونة الأدبية والفنية والثقافية التي أنجزها الأديب الفلسطيني جبرا إبراهيم جبرا، يحسّ بدوخة عنيفة تشيل به وتدور كما لو أنه حجر الطاحون! ذلك لأن الجمال، والحساسية، والرؤى، والمتعة، والرميات الصائبة، والآفاق البعيدة، والاشتقاقات المدهشة.. كلها تلف أعماله مثلما تلف أشجار العليق البساتين العوابي لفّاً وبإحكام شديد! فلا يخرج القارئ من عالم القراءة لأعماله إلا وهو طيّ الدوخة المشتهاة، والسحر الذي لا تعريف له سوى الدهشة البهيجة!

وأكاد أكون على قناعة بأن جبرا إبراهيم جبرا، ومنذ بدايات روده للأحلام، كان يودّ أن يكون من أهل التأليف والإبداع، ومن أهل الأسماء الكبيرة، أقول هذا لأنني أعرف، مثلما تعرفون، أنه كتب روايته الأولى (صيادون في شارع ضيق) باللغة الإنكليزية التي كان يمتلكها مثلما يمتلك العربية التي تجلت أنساماً هفافة في أسلوبه الأدبي البديع، وحملها معه إلى بلاد الإنكليز، وهو ابن عشرين سنة أو أقل، كما لو أنها تعويذة، أو صك قبول، أو مرجعية يستند إليها، أو جهة تعزيز يستلّ منها ما يقوي عزيمته كلما مالت به الظروف، أو خانته القدرات، هذه الرواية التي سيترجمها بنفسه إلى اللغة العربية لتبدي بهرة جمال بيت لحم، والقدس، والجغرافية الفلسطينية، والحلاوة التي يدلقها المقدسيون في ممشاهم، وحديثهم، ومؤانساتهم، وقولاتهم، واسترجاعهم لتواريخ الأحداث والحادثات، كما أنها ترجمت عام (1960) من قبل المترجم محمد عصفور. بل لعله من المؤكد أيضاً أن جبرا إبراهيم جبرا، أراد أن يكون معروفاً مثل أعلام فلسطين الكثر الذين كانت تعجّ بهم القدس، وبيت لحم، والناصر، ولهذا قال الشعر وحفظه منذ مطلع الشباب، وقد احتفظ بكراسة صغيرة امتلأت سطورها بقصائده التي عرفت عالم التأمل والخيال، والطبيعة، والطيور، وألوان الشفق والغسق، وزينة النجوم، وشذا البساتين، وحنو الدروب، والوجوه الوردية البسّامة، وألفة البيوت المولّدة للكائنات الحميمة كالأصدقاء والطيور (الحمام، والسنونو)، ونباتات الحبق والزنبق! ولعله من المؤكد أيضا، وقد ترك جبرا إبراهيم جبرا وراءه ثروة أدبية شديدة الغنى والأهمية، مثلما هي شديدة التنوع والتعددية. كان يكتب وهو يبحث عن معادل موضوعي لما يراه حوله من عمارة، وتاريخ، وأحلام، وأحداث ناشبات، فهو وكيفما تلفت سيرى بيوت (بيت لحم) وعمارتها التي تذكره بالعمارة القوطية حيث البيوت تلتف على نفسها من الداخل، فتصير الدروب الداخلية، والأدراج، والسقوف، والدهاليز، والأقبية، والسقائف عالما سرانيا أخّاذاً ومدهشاً يكاد يصل بالمرء إلى حد الخوف لولا أن البيوت تسيّل الألفة يومياً مثلما تسيّل أقراص الشمع عسلها الشهي! وحين انتقل جبرا إلى القدس ليدرس الصفوف الثانوية استعدادا للرحيل إلى بلاد الإنكليز ليأتي بالشهادة الكبيرة، رأى من الجمال، والبذخ الحضاري، والأسرار ما لا يحتمله قلبه، فالجمال الداهش يماشي شوارع القدس وحاراتها، وعتباتها، وأقواسها الحجرية، وأشجارها ذات الورد الأزرق، وشرفاتها المحتشدة بالحبق وورود الزينة وروائح القهوة، ودور عبادتها الشارقة بالضوء، والناس الذين لا يعرفون من الكتب، على الرغم من الأذيات والكواره، سوى كتاب المحبة، وكذلك الصبايا صاحبات المغمقانات القشية الملونة، والدلاء، والأواني، والصواني، بائعات الرمان، والتين، والعنب، والألبان، والأجبان، والزيتون، والعسل، والقشدة، ورب البندورة، والقريش، والطيور.. اللواتي يمنحن الشوارع، والظلال، والأشجار، والمحال، والأرصفة، والرؤى جمالا لا تقوى عليه سوى الغابات.

كل ما كان يراه جبرا إبراهيم جبرا، شكّل له تحدياً لكي تبدو مواهبه، وتستطيل قامته، ويشرق وجهه، فالعمارة والتاريخ والأحداث، والأعلام.. كانت مرآته التي يواقفها كيما يصير نبتا أبديا لا تمحوه يد الزمان، بل شكل له اسمه نوعا آخر من التحدي، فهو يعني (بالسريانية) القوة والشدة!

ولعل من مسّه سحر كتابات جبرا إبراهيم جبرا، وهي كثيرة والحمد لله، سيرى فيه المبدع الذي لم يطلق سطرا واحدا من محبرته إلا وقد استوى واستقام، لا شيء في كتابة جبرا إبراهيم جبرا من دون سحر، وتخطيط، واستباق، واسترجاع، وفتنة، ومتعة، وإغواء. ولعل هذه السمة (الإغواء) أو الجاذبية، هي السمة الأبدى في أسلوب جبرا إبراهيم جبرا، ولا بنات لهذه الجاذبية سوى التشويق، والجذب، والإحاطة، والهيمنة، والأسر! ولا جمال في كتابات جبرا إبراهيم جبرا سوى جمال الوجوه الوردية المقدسية الطالعة من كل مكان بهجة تتخاطفها الأبصار والمرايا، ولا جمال في كتاباته أيضا سوى جمال العمارة، وما أكثرها، وما أبدى سحرها، وما أكبر سرانيتها، وجمال البيوت أيضا، وتعددية الأدوار التي تلعبها الدروب، والأقواس الحجرية، والبوابات الكبيرة، والأسوار التي تزينها الأبراج، والطلاقيات، وتلك النباتات والأعشاب والزهور التي نمت في الأعالي فصارت حدائق معلقة، لا شيء يعلوها سوى تحويمات الطيور، وفتنة الغيوم!

كتب جبرا إبراهيم جبرا الشعر، فقيل عن قصائده إنها قلاع شعرية، تشبه أشعار الإنكليز من حيث الإحكام، والرصانة، والتأمل، والرؤى، وحضور الطبيعة، والأنهار، والنايات، والطيور، والأغاني، وقيل عنها إنها مدن رعوية متفلتة من (منطقية) المدنية، لتواقف عوالم الأساطير من جهة، وعالم الميثولوجيا من جهة أخرى، وهي على الرغم من هدوئها الشديد، تجهر بالبوح والنداءات لتبدي ضعفها من جهة، وطراوتها من جهة أخرى! وقيل عنها أيضا إنها أبنية قوطية مسوّرة بالغموض، والعتمة، والدروب الالتفافية، والأدراج والأقبية والكهوف التي تختبيء في زواياها الطيور من جهة والخوف من جهة أخرى! وقيل عنها أيضا، أعني أشعار جبرا إبراهيم جبرا، إنها ذات صياغات فلسفية مرّت بالكتب المقدسة، وحكايات الشعوب، والنفوس الحائرة، والأحلام النائية، والأشواق الثقيلة، والرؤى الجديدة، وما حازته البراري من جمال ومسرات ومهابة فاستلت منها بريقها، وجدتها، ونورانيتها أيضا! لكل هذا رحّبت بقصائده المجلات التي نادت بالإبداع الجديد وهو في نسخته الأولى، ولا سيما قصيدة النثر، الإبداع الذي لا يعرف محابر الآخرين ولا دروبهم، ولا أنفاسهم، ولا تشوفاتهم أيضا. ولهذا.. ما كان غريباً أن يكون جبرا إبراهيم جبرا واحدا من الشعراء الذين أثروا مجلة (شعر) اللبنانية بالتنظير النقدي لما تريده من إبداعات جديدة ذات حمولة سرانية فائقة، وقولات نقدية تخصّ الشعر المنثور!

وكتب جبرا إبراهيم جبرا الرواية، فكان الدرب الروائي العربي الثاني، الذي فارق الدرب الروائي العربي الأول الذي شقه نجيب محفوظ، وتميّز به مفارقة عنه من حيث الأسلوب، والصورة، والبلاغة، وطريقة عرض الحكاية، وتعددية عناصرها، وتقديم مخزون النفس على غيره مما تقدمه الأحداث والأخبار والأمكنة والأزمنة!

لذلك فإن رواية جبرا إبراهيم جبرا ليست سوى لوحة تشكيلية، ألوانها، وكتلها، ودلالاتها، وإيحاءاتها، ومهدوفيتها.. مدروسة ومضبوطة على نحو صارم محكم! فالرواية عند جبرا إبراهيم جبرا علم حساب ورياضيات! وهي ليست غير ذلك من الناحية البنائية، أعني المبنى! إنها معادلات، ومعطيات هندسية، يلفها الجمال، والمعنى الرياضي هنا، ليس سوى عملية الضبط، والإحكام، وحضور المنطق الذي يقود من نقطة إلى أخرى، ومن حال إلى ثانية، ومن عالم إلى عالم!

والحق أن جبرا إبراهيم جبرا وعى، وبروح الناقد الشغوف بعلم النص، أن الكتابة ثلاثة أحياز أولها: المنطق، وثانيها: المتعة، وثالثها: الوظيفية! وعيوب النصوص الأدبية وثقوبها آتية من عدم ضبط المكتوب وفق مرايا: المنطق، والمتعة وهما (للقارئ)، والوظيفية (التي هي للكاتب) أي ما يريد قوله! ومع أن الصرامة سمة تماشي كتابة جبرا إبراهيم جبرا، لكنها صرامة لا تؤدي إلى المتوقع، بل تؤدي إلى اللامتوقع لأن الخيال هو من صاغ الصرامة، وهو من لعب بها حتى صارت لدينة طيعة في يده!

وهكذا سنرى جبرا إبراهيم جبرا في نقده، وترجمته، ورسومه التشكيلية، أديبا صاحب ذائقة لم يتخل عنها (حتى) في سلوكه، وطريقة حديثه، وهندامه، إنه رجل مديني لا يترك دربه نهبا للمصادفات، أو دريئة للأسهم الطائشة!

أما السيرة الذاتية التي واقفها جبرا إبراهيم جبرا في كتابين اثنين هما: (البئر الأولى)، و(شارع الأميرات)، فهي سيرة لـ دنيا لا يشبع المرء منها أبدا، مع أنها سيرة غير مكتملة، لأن جبرا إبراهيم جبرا كتب عن البيت، والوالدة، والأخ، والمكان (بيت لحم)، والطفولة والمدرسة، والمدرّسين، في كتابه الأول، وعن سنتين اثنتين من حياته في العراق وتعرفه إلى زوجته في كتابه الثاني... كما لم يكتب من قبل، سيرة أشبه بالماء الزلال الذي يدهمه كائنٌ عطش كوته الشمس اللاهبة!

اليوم، وبعد رحيل جبرا إبراهيم جبرا، تتحدث عنه الشواهد التي استنبتتها يداه، في الجامعات، ودور النشر، ومدونات الرواية، والقصة القصيرة، والشعر، والترجمة، والنقد الأدبي، والنقد الفني، والصحافة، والمؤتمرات، والملتقيات، كما تتحدث عنه النفوس التي سباها بجمال أدبه، وتعب سيرته في آن!

جبرا إبراهيم جبرا، الذي عاش تحديات الاقتلاع من بيت والدته (بيت أم يوسف)، ومن مدينته (بيت لحم)، ومن أحلامه الوطنية الوردية مثل شقائق النعمان... ليعيش في المنفى مستذكراً كل شيء في بلاده العزيزة فلسطين، حتى حجارتها، وغبارها، بل حتى الجروح التي سببته له أدراجها وعتباتها! مثلما عاش تحدي الثقافات الجديدة التي زوّدته بها ذائقته الثقافية من أشعار وروايات وأساطير وميثولوجيا قرأها في لغات الآخرين ومدوناتهم، مثلما عاش التحدي مع أهل العراق، أهل الثقافة والإبداع والاشتقاق، أهل الرؤوس الملأى بالعلوم والمعارف، إلى العيش مع مكابدات الذات التي لم ترض إلا بالعالي العلوق بالندى، والمطر، والضوء، والبهاء.

جبرا إبراهيم جبرا.. اليوم، وقد تجلت مدونته، وسيرته ليس سوى عصارة لذلك التحدي المكين، والإبداع الشدود، والروح المشتقة من جوهر النار القادرة على تمييز الأصيل من الدخيل!

Hasanhamid55@yahoo.com

ابن القفطي
خير نموذج للوزراء العلماء
فقد مخطوطاً فأقام مجلس عزاء وناح عليه

• محمد عيد الخربوطلي

من المعروف أن كثيراً من الناس اهتموا بالعلوم، فجمعوا لذلك مكتبات كبيرة، ومنهم من عرف بخزائن كتبه، كالسيوطي، وابن حجر، والذهبي، وأبو شامة، وجمال القاسمي وغيرهم كثير. وهذا شيء طبيعي، لكن نوعاً من الناس استلموا مناصب عالية في الدولة واهتموا بالعلم والمكتبات، فقد يستغرب المرء نشاطهم العلمي مع ما أوكل إليهم من أعمال جليلة ومهام صعبة، وقد عرف الكثيرون في تاريخنا العربي والإسلامي من الملوك ممن كانوا علماء وصنفوا الكتب الكثيرة والمهمة، فقد عرف الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن الأفضل الأيوبي ملك حماة، الذي كان عالماً ومؤلفاً، ومن مؤلفاته: التاريخ المشهور، وشرح كافية ابن الحاجب في النحو التي شرحها أكثر من خمسين عالماً، كما له كتب عدة في الفقه والحديث، وله أشعار كثيرة، وعرف ملك اليمن المؤيد يحيى بن حمزة (توفي سنة /745هـ) بمؤلفاته التي بلغت العشرات وجاء بعضها بمجلدات عدة. أما ملك اليمن المعتضد بالله يحيى (توفي /636هـ) كان عالماً وله مؤلفات عدة ، وعرف الأمير ركن بيبرس المنصوري بمؤلفاته الكثيرة ومنها (زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة) وهو تاريخ عام للدولة الإسلامية من أولها إلى سنة 724هـ، وجاء في أحد عشر مجلداً، يوجد بعض أجزائه في مكتبات باريس وأكسفورد وغيرها. ومن الوزراء العلماء عرف الكثير منهم وعلى رأسهم ابن العميد، ويوسف ابن البوقي الواسطي، الذي ولي الوزارة في خوزستان وبقي فيها أكثر من عشر سنوات، وترك مؤلفات عدة ، ومن الوزراء المصنفين للكتب أيضاً يحيى بن صالح الشجري المعروف بالسحلولي، كان قاضياً ثم صار وزيراً في اليمن، توفي /1209هـ، وترك مؤلفات عدة ، وكذلك عرف يعقوب بن يوسف.. بن كلس المتوفى سنة 380هـ، وكان وزيراً عند المعز لدين الله وابنه في مصر، والوزير الصاحب زين الدين توفي سنة (668هـ) وزير قطز ثم وزير الظاهر ركن الدين، وقد ترك مؤلفات عدة ، كذلك عرف ابن القفطي، فمن هو وما قصته؟

الوزير علي بن يوسف القفطي:

جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم القفطي، ولد سنة (568هـ/1172م) في مدينة قفط، من أعمال قوص صعيد مصر الأعلى، فنسب إليها، تلقى علومه الأولى بالقاهرة، ثم أتم دراسته ببيت المقدس حيث صحب والده عندما تولى القضاء فيها فأقام معه حوالي خمسة عشر عاماً، أحبه الناس خلالها، وكان يرفض أي مساعدة من أحد فكان يخدم نفسه بنفسه، وخرج من القدس مع أبيه فأقاما بحلب، وعمل فيها كاتباً عند الملك الظاهر غازي الأيوبي، ثم استلم القضاء وسلمه الوزارة في سنة 633هـ، وأطلق عليه لقب (الوزير الأكرم) وما كان ليقبل بهذا المنصب إلا خدمة لعامة الناس، فقد كان يفضل الجلوس بين الكتب متعلماً ومصنفاً على أي منصب، وقد صحبه يا قوت الحموي في حلب مدة فسمع منه الكثير، ونقل من خطه مراسلات أدبية جميلة وأشعاراً كثيرة أثبت بعض ذلك في معجم الأدباء، فقد كان الوزير أحد الكتاب المشهورين المبرّزين في النظم والنثر والتصنيف.

غرام ابن القفطي للكتب:

كان لجمال الدين ابن القفطي غرام شديد بالكتب، فكانت تحمل إليه من الآفاق، وجمع منها ما لا يوصف، حتى قدرها بعضهم أنها تساوي خمسين ألف دينار، ولم يكن يحب من الدنيا سواها، يقول ياقوت الحموي في معجمه للأدباء (وكان القاضي المذكور جمّاعة للكتب حريصاً عليها جداً، لم أر مع اشتمالي على الكتب وبيعي لها وتجارتي فيها أشد اهتماماً منه بها، ولا أكثر حرصاً منه على اقتنائها، وحصل له منها ما لم يحصل لأحد).

ولم يخلف زوجة أو ولدا فأوصى بها لمكتبة الملك الناصر بحلب حيث توفي سنة (646هـ/1248م).

مناحة ابن القفطي على مخطوط ينقصه:

إن المتتبع لتاريخ الكتاب وجمعه ومصائبه، يعثر على أخبار غريبة عن عشاقه، فكثير منهم لم يستأثروا من الدنيا إلا الكتاب، ولم يشغلهم إلا الكتاب، وبعضهم شغل به عن كل شيء، وبعضهم لا يفارقه إلا لتناول الطعام أو الرقاد أو لقضاء حاجة ضرورية، بل بلغ شغف بعضهم بالكتاب أن وضعوا الكتب حولهم أو فوق صدورهم إذا ناموا وكأنها حرز يتعوذون بها، ومن الأخبار الغريبة عن عشاق الكتب، تلك الحكاية التي جرت للوزير ابن القفطي، فقد عثر يوماً على نسخة جيدة من كتاب الأنساب لابن السمعاني ينقصها مجلد من أصل خمسة مجلدات فاشتراها، وظل يبحث عن المجلد الناقص ويطلبه من مظانه فلم يتوفق إلى الحصول عليه، واتفق أن بعض معارفه اجتازوا بعد أيام بسوق القلانسيّنْ فصادفوا أوراقاً من المجلد المفقود فأحضروها إليه، فاستدعى الوزير صانع القلانس واستطلعه أمر المجلد المذكور، فقال له القلانسي: «اشتريته في جملة أوراق وعملته قوالب للقلانس».

عند ذلك تيقن أن العثور عليه مستحيل، فحزن حزناً مفرطاً وتخلف عن الذهاب إلى مركز وزارته في قلعة حلب، وأقام في داره مناحة استدعى إليها ندّابين وندّابات فناحوا على المخطوط المفقود وندبوه كما يُندب ميت عزيز، وتوافد الأعيان والأصدقاء والأدباء يعزّون الوزير عن مصابه، ويسّرون الغم عن قلبه، ونظم الشعراء قصائدهم في هذه المصيبة، ومن ذلك قول الشريف ابن طباطبا:

إذا أفجع الدهر امرءاً بخليله
تسلّ ولا يُسلى بفجع الدفاتر

مؤلفات ابن القفطي:

ترك الوزير ابن القفطي مؤلفات عدة ، جاء أكثرها في التاريخ، مثل تاريخ القاهرة، وتاريخ اليمن، وتاريخ المغرب، وتاريخ السلاجقة، غير أن الباحثين لا يكادون يعرفون له غير:

إنباء الرواة على أنباء النحاة، وأخبار مصر من ابتدائها إلى أيام صلاح الدين الأيوبي في ستة مجلدات، وأخبار المحمدين من الشعراء وأشعارهم، يريد الشعراء الذين تسموا بمحمد مرتين، على حروف الأبجد، بحسب أسماء آبائهم.

يقول د. عبد اللطيف حمزة: "غير أنه لم يصل إلينا من كتبه إلا كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، وهو معجم تاريخي للفلاسفة، والأطباء، والعلماء من العرب والعجم، مرتبين على حروف الأبجد، وفيه يظهر ابن القفطي مبغضاً للفلاسفة، كعادة المصريين خاصة في العصر الأيوبي".

وقد ذكر صديقه ياقوت الحموي مصنفاته في معجم الأدباء، وجاءت على الشكل الآتي:

-1 كتاب الضاد والظاء – وهو ما اشتبه في اللفظ واختلف في الخط.
-2 الدر الثمين في أخبار المتيمين.
-3 من ألوت الأيامُ إليه فرفعته ثم التوت عليه فوضعته.
-4 أخبار المصنفين وما صنفوه.
-5 أخبار النحويين – كبير وهو الذي ذكره الزركلي بعنوان: إنباء الرواة على أنباء النحاة وقال طبع منه ثلاث مجلدات.
-6 تاريخ مصر من ابتدائها إلى ملك صلاح الدين إياها في ستة مجلدات.
-7 تاريخ المغرب ومن تولاها من بني تومرت.
-8 تاريخ اليمن منذ اختُطت إلى الآن.
-9 المجلىّ في استيعاب وجوه كلاّ.
-10 الإصلاح لما وقع من الخلل في كتاب الصحاح للجوهري.
-11 الكلام على الصحيح للبخاري – قال ياقوت: "لم يتم".
-12 الكلام على الموطأ – قال ياقوت: "لم يتمه إلى الآن".
-13 تاريخ محمد بن سبكتكين وبنيه إلى حين انفصال الأمر عنهم.
-14 أخبار السلجوقية منذ ابتداء أمرهم إلى نهايته.
-15 الإيناس في أخبار آل مرداس.
-16 الرد على النصارى وذكر مجامعهم.
-17 مشيخة زيد بن الحسن الكندي.
-18 نُهزة الخاطر ونزهة الناظر في أحسن ما نُقل من على ظهور الكتب. هذه الكتب التي ذكرها ياقوت في معجمه للأدباء، ولعله لم يطلع عليها كلها، فهناك كتب أثبتها له غيره مثل: الزركلي وعبد اللطيف حمزة وهي:
-19 إخبار العلماء بأخبار الحكماء – يقول الزركلي والمطبوع مختصر.
-20 كتاب المحمدين من الشعراء – يقول الزركلي وهو مخطوط، وقد بلغ به محمد بن سعيد.

من شعر الوزير ابن القفطي:

لقد أورد ياقوت في معجمه بعضاً من شعره الجميل، ومنه قوله في سنة 613هـ:

ضدّانِ عندي قصّرا همّتي
وَجْهٌ حَبيٌّ ولسانٌ وقاحْ
إنْ رُمتُ أمراً خانني ذو الحيا
ومقْولي يُطْمعُني في النجاح
فأنثني في حَيْرَةٍ منهما
لي مخلَبٌ ماضٍ وما من جناح
شِبهُ جبانٍ فَرَّ من مَعْرَكٍ
خوفاً وفي يُمناهُ غضبُ الكفاح

وعندما أمره الأمير أتابك طغرل الظاهري أن يكتب برفع الجبايات ومحوها ليخفف عن

> لم تشغله السياسة عن التأليف والتصنيف، ولم تشغله مهامه عن العلم والكتب، بل كان خير قدوة لغيره.

> لم يصل إلينا من كتبه إلا كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، وهو معجم تاريخي للفلاسفة، والأطباء، والعلماء من العرب والعجم.

الناس، كتب بيده ثلاثة عشر كتاباً إلى ولاة الأطراف ولم يستعن بأحد من الكتاب، وقال في ذلك:

ولا تكتب بكفك غير شيء
يسرُّك في القيامة أن تراه

الخاتمة:

هذه لمحة سريعة لوزير كاتب مصنف شاعر، لم تشغله السياسة عن التأليف والتصنيف، ولم تشغله مهامه عن العلم والكتب، بل كان خير قدوة لغيره، فأي شيء لا يشغل صاحبه عن العلم.

ولكن يبقى سؤال يحزُّ في نفسي ويؤلمني كثيراً، أين هذه المؤلفات اليوم؟ يا ترى هل أُحرقت مع ما أحرقه هولاكو وتيمورلنك؟ أم ذهبت في زلزال مدمر؟ أم نهبت وبيعت للغرب فهي اليوم قابعة على رفوف مكتبات ومتاحف أوروبا وأمريكا وروسيا، إنه سؤال مشروع، وسأبقى أردده دائماً، ويا ترى هل ما بقي من تراث من سبقونا سيلحق بغيره إلى الأغراب أم سنحافظ عليه، وإذا كنا نحافظ عليه فمن أين التجار يحصلون على المخطوطات يومياً ويذهبون بها إلى خارج بلدنا..؟

المصادر والمراجع:
-1 أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء لمحمد راغب الطباخ.
-2 الأعلام للزركلي 33/5.
-3 الحركة الفكرية في مصر في العصر الأيوبي والمملوكي الأول د. عبد اللطيف حمزة 305 – 307.
-4 خزائن الكتب العربية في الخافقين للفيكنت فيليب دي طرازي 918/3 – 919.
-5 شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي 236/5.
-6 فوات الوفيات لابن خلكان 96/2.
-7 معجم الأدباء لياقوت الحموي 175/15 - 204 .

صلاح لبكي شاعر الليل والسأم

١٩٠٦ - ١٩٥٥

• عيسى فتوح

شعره يُعنى بالإنسان في غبطته وتفاؤله، في قلقه وشكه، في كآبته وحزنه، في آلامه وسويدائه.. ويُعني بالطبيعة من خلال الإنسان.

صلاح لبكي شاعر، وناقد، ومحام وصحفي لبناني.. ولد عام 1906 في البرازّيل، وكان والده نعوم لبكي قد هاجر إليها في أواخر القرن التاسع عشر، حيث أسس في مدينة "ريو دي جانيرو" مدرسة "الفلاح" وفي "سانباولو" جمعية "رواق المعري" الأدبية عام 1900، وأصدر جريدة "الرقيب" 1896، وجريدة "المناظر" 1899، ولما عاد إلى لبنان عام 1908 ترأس المجلس النيابي اللبناني.

تلقى صلاح لبكي دراسته في بلدته "بعبدات" عند "الآباء الكبّوشيين"، ثم تابع تحصيله في مدرسة "الحكمة" ثم في مدرسة "الآباء العازاريين" في "عينطورة"، ولما نال الشهادة الثانوية انتسب إلى كلية الحقوق في الجامعة اليسوعية، وتخرّج فيها عام 1930، ثم مارس المحاماة والصحافة، فحرر في صحف "البشير"، و"الحديث"، و "العمل"، وتعاطى السياسة، لكنه أخفق فيها، كما ترأس جمعية "أهل القلم" التي كان أحد مؤسسيها.

كان صلاح لبكي عاطفياً، رومانسي النزعة، عصبي المزاج، تسيطر عليه ظاهرة "السأم"، وكان يحب الألوان القاتمة، لذلك نجد صور الليل والمساء تتكرر كثيراً في شعره كقوله:

هفا الليل قومي نهزّ المنى
بأرجوحة من ضياء القمرْ.
وتُفلت أحلامنا الرّاقصات
على خفقات النجوم الغررْ

وقوله:

هفا الليل قومي نذر على
حواشيه مخمور أحلامنا
هفا الليلُ يحمل راحتيه
إلى البائسين وعود الهنا..

حصّل لبكي ثقافة واسعة بالعربية والفرنسية، واطّلع اطّلاعاً واسعاً على مدارس الأدب الغربي كالرومانسية والرمزية اللتين كان شعره مزيجاً منهما.

دُعي عام 1954 لإلقاء عدد من المحاضرات في معهد البحوث والدراسات العربية العالية في القاهرة عن الشعر في لبنان، فتحدث فيها عن: الشاعرية والجمال، وبدء النهضة الحديثة، والشعر اللبناني في مطلع القرن العشرين، والشعر المهجري... وتوقف عند جبران والرابطة القلمية، والعصبة الأندلسية في البرازيل، والرمزية في لبنان، وقد جمع هذه المحاضرات في كتاب أطلق عليه عنوان "لبنان الشاعر" ويُعد هذا الكتاب مرجعاً مهماً من مراجع دراسة الأدب العربي الحديث في لبنان والمهجر الأمريكي.

كان ينقّح شعره عندما يكتمل في الصباح، وكانت زوجته "عائدة" أول من نسمعه منه، وغالباً ما كان يكتب بقلم الرصاص، ليستطيع أن يمحو وينقّح ويعدّل، ويطيب له أن يلقي شعره على أصدقائه، ويذوب رقة وحناناً وهو يلغيه.

أصدر الشاعر صلاح لبكي ثلاثة دواوين قبل أن يرحل رحلته الأبدية وهي: "أرجوحة القمر" 1938، الذي نال عليه جائزة "مدرسة الحكمة الأدبية"، و"مواعيد" 1943،و"سأم".

وهو مطولة شعرية 1949، وصدر له بعد وفاته ديوانان هما "غرباء" 1956، و"حنين"1961، وكان ينوي أن يصدر مطولة شعرية أخرى، وبالفعل كتب بضعة أبيات منها، لكن القدر لم يمهله لإكمالها، فقد فاجأه الموت عام 1955 وهو في التاسعة والأربعين من عمره.

كذلك أصدر، إضافة إلى هذه الدواوين الثلاثة، كتاب "من أعماق الجبل"، وهو مجموعة من الأساطير اللبنانية، وكتاب "لبنان الشاعر" وبعض الكتب المترجمة.

دار معظم شعره حول: اليأس والأمل، والهرب، والموت، والغاب، والقرية، والأمجاد الوطنية، والليل، والمساء، والربيع، والشتاء، والمطر، والعاصفة، والطير، والورد، وغيرها...

كما تغنّى بأحلامه وآلامه، ويأسه من الحياة، وشوقه إلى الموت، مستسلماً حيناً، متمرّداً، عاصياً حيناً آخر، فقد سيطرت عليه فكرة الموت منذ أن وعى الحياة، وكأنه كان يتوقع موته المبكر، وهو في ريعان الشباب، وقمة العطاء، لذلك راح يتغنّى به على غرار الشاعر الفرنسي شارل بودلير، فكتب قصائد "موت الطيور" و"موت الورود"، و"أغنية الموت" وكان الموت في نظره نوعاً من راحة الصوفي الزاهد المتعبد.

وإذا كان شعره قد لبس رداء الرومانسية حيناً، والرمزية حيناً آخر، فإنه في الحقيق لم يضع لنفسه نهجاً محدداً في الشعر، ولم يحبس نفسه المرهفة الحساسة في قمقم النظريات، بل كان ينطلق على سجيته، ويغرف من بحر ذاته، دون أن يكون ذاك الغنائي المائع، ولا ذلك الكثيف الغموض.

لقد استمد شعره من نفسه أولاً، ومن الحياة والطبيعة ثانياً، بأداء عذب جميل، دون أن تستعيده صناعة، أو يهيمن عليه نحت، أو يستهويه غموض.

شعره يُعنى بالإنسان في غبطته وتفاؤله، في قلقه وشكه، في كآبته وحزنه، في آلامه وسويدائه.. ويُعني بالطبيعة من خلال الإنسان، فيخلع عليها من عنده تلك الحرارة، فإذا بينهما تفاعل أحاسيس، وإذا الطبيعة وما فيها صدى لنفسه، تشكو وتأسى، وتلتاع وتتوق وتبتهل وتحن، فمن روض يأسف، إلى واد يجزع، إلى لون يموت في الأحداق، إلى نفس تأخذ من حزن الشتاء، إلى ليل يشاركه شتى الحالات التي يمر بها...

فزعة عجفاء
للشاعر محمود درويش

• رشاد أبو شاور

هناك من يستظلون باسم محمود درويش، ويتكسبون من اسمه، ويعقدون الصفقات باسمه

في مناسبة رحيل الشاعر الكبير محمود درويش، هجم علينا مئات الكتاب، والشعراء، وأشباه الكتاب والشعراء والنقاقيد..وأمطرونا بكلام لا يضيف شيئا لشعر محمود درويش، فلا دراسة ذات قيّمة تضيف لمعرفتنا بشعر الشاعر، وتفتح آفاقا لدراسة شعره لم تطرق من قبل... هي (فزعة) و..كتابات تتمسح بالشاعر الكبير، وهي مسيئة لأن فيها من الولدنة والسطحية ما يُنفّر. فهؤلاء لم يسمعوا بشعراء فلسطين الكبار، ولم يتوقفوا عندهم، وكأن محمود درويش نبت في الفراغ، وكأنه (زعيم سياسي أوحد). في بيروت، وعندما احتفلنا بشاعرنا الكبير عبد الكريم الكرمي (أبو سلمى) ــ كنت شخصيا عريف الاحتفال ــ خاطبه محمود درويش: أنت الشجرة التي نبتت عليها قصائدنا..هات يدك لأرى فيها بيادرنا...

ولو خاطب إبراهيم طوقان، وعبد الرحيم محمود، وحسن البحيري، ومحمد العدناني، وفدوى طوقان ماذا كان سيقول؟!

هو كشاعر كبير يعرف من أين جاء، ففلسطين لم تكن عاقرا، ففي حين برز محمود درويش في فلسطين الـ 48، برز بين كبار: راشد حسين، توفيق زياد، سميح القاسم...

أرفع صوتي في وجوهكم، في الذكرى الثامنة لرحيل الشاعر الكبير: ارحموا محمود درويش من هذا (الحب) الرخيص، المائع، المفتعل، الذي يحول بينه وبين محبي شعره،

وفي الوقت ذاته كان هناك شعراء كبار يتألقون في الشتات: فواز عيد، عز الدين المناصرة، صالح هواري، أحمد دحبور، محمد القيسي، مريد البرغوثي...

هل ننسى شاعرنا الكبير هارون هاشم رشيد أمد الله في عمره، وشاعرنا الكبير معين بسيسو؟!

وهل ننسى شاعرتنا الكبيرة سلمى الخضرا؟ وهل ننسى توفيق صايغ أحد أكبر مؤسسي قصيدة النثر في الشعر العربي الحديث؟!

محمود درويش قبل رحيله بأيام قال في لقاء صحفي معه: هناك أكثر من عشرة شعراء فلسطينيين كبار.. وأنا علّقت يومها على هذا الكلام الذي ينصف شعراء فلسطين، ويرفض تكريس واحد على حساب حضور الجميع.

هؤلاء الكتبة يمسخون مسيرة ثقافتنا، وإبداعنا...

هؤلاء يصادرون على حضور شعار يضيفون لشعرنا المعاصر: خالد أبو خالد، مي صايغ، محمد لافي، أحمد حسين ــ هل سمعتم بهذا الشاعر الكبير، وهل قرأتم له؟ ــ إبراهيم نصر الله، يوسف عبد العزيز، وغيرهم كثيرون...

ترى: هل سمع هؤلاء بالشاعر حسن النجمي؟

هل سمعوا بشعراء حلب الفلسطينيين؟! لا أريد أن أورد بعض أسمائهم حتى لا أنسى بعضهم...

هل قرأتم لصلاح أبو لاوي، ومراد السوداني، وأحمد أبو سليم؟!

هناك من يستظلون باسم محمود درويش، ويتكسبون من اسمه، ويعقدون الصفقات باسمه، و..هناك من هم أخطر، وأقصد الذين يجيّرونه سياسيا، وهم من (رموز التطبيع، والاتصالات مع الصهاينة)... هؤلاء عبء على اسم محمود درويش، ومسيرته الشعرية، وإضافاته للشعر العربي ...

لقد أغرقتم ذكرى محمود درويش بكلام تافه، فيه كثير من التطاول على حركتنا الشعرية، ورموزنا، وكبارنا..وبهذا أسأتم للشاعر الكبير في ذكرى رحيله البدني، لا الإبداعي...

لذا أرفع صوتي في وجوهكم، في الذكرى الثامنة لرحيل الشاعر الكبير: ارحموا محمود درويش من هذا (الحب) الرخيص، المائع، المفتعل، الذي يحول بينه وبين محبي شعره، ويعزله عن مسيرة فلسطين الشعرية الغنية وعن مسيرة الشعر العربي المعاصر...

وَطَنِي أَوْلَى بِحبٍّ صَادِقٍ

•غازي عبد العزيز عبد الرحمن

لمْ تَنَلْ مود الإنكليزية عَام 1936م من قلب الشَّاعر القَروي رَشيد سَليم الخُوري:
"وَإنِّي حرامٌ عليَّ هوَاك وفي وطني صيحةٌ للجِهَاد"
إنَّهُ الحبُّ الأَسْمَى ... حبُّ الوطن ... ... فَهُوَ أَوْلى بالحبِّ.... فكيفَ تنالين أنت من قلبي ووطني جرح نازف ؟؟

لستُ صخراً لستُ ماءً آسنا
لستُ جذعاً في كثيب دُفِنَا
فأنا وجدانُ شعرٍ ودَم
ياسمينُ الشام فيه كَمَنَا
وطني أَوْلَى بحبٍّ صادقٍ
هُوَ حبِّي لستُ أنساهُ أنا
فاعْتقيني تائهاً في نَكبتي
ليس للعشق مكانٌ بيننَا
اخرجي عنِّي فجرحي وطنٌ
نَابَهُ خطبٌ تحدَّى الممكنَا
وامْنَحي بوحَ القوافي فرصةً
تَهبُ الأحزانَ لوناً أَهْوَنا
فأنا عينٌ تقذَّى 1جفنُها
كلَّما جفَّ الندى قد هَتنَا2
وأنا مهجةُ أمٍّ ثكلتْ
في ربيع العمر بكرًا مؤمنا
أَوَ تبغينَ هوىً في مهجتي؟
والكرَى في مُقلتي ماسَكنا؟
كيفَ للأزهار لونٌ وشذىً
دونَ أن تلثمَ للفجر سنَا؟
كيف للأطيار صوتٌ وصدىً
اتركي الآلام تُحيي جذوةً
في ضميرِ صاغرِ الخدِّ هنَا
اتركي الآلامَ تجْلو فجرَها
قدْ بَدا الليلُ يشدُّ الظعنا
حصحص الحقُّ وأضحت شمسُهُ
وكلامُ السيف قَدَّ 3الألسنَا
حلبٌ قد نَفَضتْ أتعابَها
والرَّدى بن رَحَاها طُحنَا
غُرِّرَتْ أجيالُنا يَا مَوْطني
بِضَلالٍ عمَّ أطرافَ الدُّنَا
عدْ كمَا كنتَ صباحاً باسماً
أَوْثِقِ الأطنابَ 4شُدَّ الرَّسَنَا
ليسَ في قلبي مكانٌ للهوَى
ورياحُ الغدْرِ تذرو الوطَنَا
أنت سيفٌ عربيٌّ صارمٌ
أمويُّ المجدِ نبراسٌ لنَا
أنت حبٌّ أنت شوقٌ وهوىً
ألقٌ نهفو إليه كلُّنَا
أنت في نبضي نشيدٌ خالدٌ
وربيعٌ مورقٌ من عمرنَا
فإذا مرَّا سقتني غربتي
فهنا بالشام يحلُو جمعُنا
وهنا تغْدو القوافي عذبة
ويشقُّ الليلَ صوتُ (الميجنا)

الأعين الشغف..

•مرام دريد النسر

أمام بابكَ كلُّ الناس قد وقفوا
جاؤوا إليك و دمعُ العين ينذرف
مُدَّتْ إليك أيادي العالمين فما
خاب الذين أجلوا الله
واعتكفوا
أورثتهم جنةً في الأرض يانعة
فيحاءَ مزهرة بالحسن تتصف..
طار الحمام إليها بكرة و شدا
فوق الغصون نشيدا راح يُرتشف..
تغفو النجوم على أهدابها و بها
يجلى الظلام عن الدنيا و ينصرف
من يسكن الشام لا يرضى لها بدلا
و لا يحيد إذا ما مر منعطف..
كل الأنام إلى العلياء وجهتهم
إلا بنوك فأنت المجد و الشرف..
صلى عليك رسول الله فانتشرت
من غوطتيك دنان العطر والقطف..
ماذا أقول بوصف الشام يا بردى
لولا الشآم جميع الناس ما انتصفوا..
من هؤلاء .. علام الأفق منتحب؟؟
لا الشمس تشرق و البارود لا يقف..
بالأمس عدتُ إلى داري فلم أرها
حتى صغاري في الأرجاء ما اختلفوا..
غطى الترابُ وجوه الأهل و اشتعلت
بالنار أعمدة التيجان و الغرف..
و الموت أطبق في الأرجاء ثانية
سارت إليها جيوش ما لها كفف..
نامت دمشق على أنقاض مسجدها..
تدعو الإله لعل الغم ينكشف..
ترنو إلى الغيم حيث البدر يسألها
أين الذين أحبوا الشام و اكتنفوا
أين الربيع و ما أضفاه من ألق
في مقلتيك و أين الأعين الشغف؟
هم جردوك من الأفراح و انطلقوا
نحو الغدير فما اصطافوا وما اغترفوا
هم هؤلاء على الأبواب تعرفهم
كل البلاد و تروي عنهم الصحف..
أمن يرد فلول الغزو ويحكم
أو من يجيب دعاء كله لهف؟
لا لن تعود إلى الأمجاد سيرتها
إن لم يزل بثراها الإثم يقترف..
لا لن تعود على الدنيا متوجة
إن غاب عنها جميع الأهل وانصرفوا..
لا لن نعود إلى هجرانها أبدا
ما كان يجدر أن يودي بنا الأسف
لبيك إنَّ جميع الناس قد رجعوا
عما قريب سيجلى الموت والتلف

سماح

• محمد رجب رجب

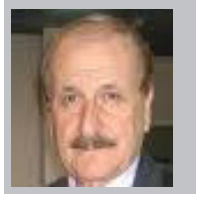

تسائلني أغاريد الصَّباح:
أشاقك في الهوى وجه الملاحِ؟
فأغضي، كيف أوقظها اللّيالي
تنام على مكابرة الجراحِ
أعلّل خافقي: يا قلب مهلاً
كفاك، أما تعبت من الصّداحِ؟
فأرمق: لا تلمْ من أنْت منه
فأغبطه على طعن الأقاحِ
فإن أكُ في الغرام ربيب عشقٍ
نعمتُ بحيٍّ حيّ على الفلاحِ
فما من عابرٍ في دار صبٍّ
وعند الغيب يقذف بالجناحِ
لئن هيِّمت، كنت أخا نبيٍّ
يدار عليك بالصّفو القراحِ
وحين تخبُّ في النّجوى شقياً
فشيطانٌ على كتف الرماحِ
زلال الشّوق نبعة كلّ حسنٍ
وبحر الكون آلاء الوضاحِ

•••

عجبت لمهجةٍ صديت وفاضاً
أما عودٌ إلى الماءِ الصراحِ؟
فمثقالٌ من الوجد المصفّى
ميازيبٌ تضوع على البطاحِ
فطهّر بالسّلاف وضير هجرٍ
تذقْ في الوصل أكواب المراحِ
كأنك ما برحت ثرى جنانٍ
وتفّاح الملامة دون صاحِ

•••

تسائلني أغاريد الصباحِ
أشاقك في الهوى وجه الملاحِ
فأهتف للنبيذ بثر وجدٍ
نعم أشتاق يا وجه السّماح

وطني

•سليمان السلمان

وطني..!.. وما من صيحةٍ أعلى
وطني..!.. وما من روضةٍ أحلى
وطني..!.. وما من تربةٍ أغلى
أفديكَ يا وطني...!
لأصعد منك نوراً للمدى الأعلى.
وأظلّ أهزجُ في فضائكَ...
خُذْ دمي..
روحي فداؤكَ..
وما بَخلْتُ.. وأُتْقنُ البذلا.
أنا للعدو عصارةُ الموت الأبيِّ..
أزيد التهليلَ..
كم ألقى الفدا.. سهلا..!
هذي يدي..
سكّينها أشبعتها صقلا.
قل للذي يأتي لنا مستوطناً نذلا:
ارحلْ.. فهذي أرضنا.. إنّا لها..
بالنصرِ بالتحرير أَوْلى.
يامن الصهاينة اللئام..!
شبابُنا لا تقبلُ الذُلّا.
إنّا هنا باقونَ..
فلترحلْ وإلّا..
تنتهي يا وغدُ قتلا.

هو الحنين

• وجدان أبو محمود

كنتُ نحيلاً وبنصف روح يومَ التقيتك، جفلتُ أمامكَ غيرَ واعٍ وارتجفتُ، هالني الانطباقُ الدّقيقُ الذي مكّنك من استنساخ نصف شبيه أشعرني فجأةً بالاكتمال...

كان شيئاً أشبهَ بالنّفير، بدا حزني وفرحك ملتبسان كموجتين... كينونتانَ بالمذاق عينه، تدفّقت اللّهفةُ من أحاديثنا العاديّة، لم أبذل جهداً لأشرحَ نفسي فقد انفرطتُ من عينيك حبّةَ حبّة، كلّ ما فيَّ اتّقدَ حتى خفايا هواجسي تمرّدت وطفقتْ على شفتيَّ الموصودتين، ارتحلتْ نوارسُ أحلامي نحوك دونَ إذن، عشّشتْ في ابتسامتك النّاعمة فتوجّستُ فيها انتهابي، حتى قلبيَ قد استكانَ أمامك طائعاً... قلبي الموحشُ الذي لم يهدأ يوماً بمرسى...

مذْ بتُّ صديقتي تكشّفتُ أمامي ملامحُ روحي وتضاءل خوفي من الآتي ومذْ مشينا معاً لأوّل مرّة تحرّرتُ وإلى الأبد من كذبة الجاذبيّة الأرضيّة، قُصّتْ حبالُ الوهم التي كبّلتني، ونسينا معاً الخوذَ الوهميّةَ فوقَ رؤوس النّاس، أصواتهم الخفيضةَ تروي الفظائعَ، تجاهلنا البنادقَ... التّوابيتَ ... الكحلُ السّائلُ تحتَ أجفانِ النّساء ... الدّمعاتُ المتجمّداتُ على وجوهِ الفاقدين ... خطواتُ المفقودين والمهاجرين والموتى... العدمُ الآخذُ بالتّجلي ... المخاضُ الذي يتلو المخاض...و الصّقيعَ القاتلُ الذي واصلَ تمدّدهُ في حنايانا، بدأ نحولي يزدادُ أكثر، ارتدتني المرارةُ أمامكَ بفجور، شهدتْ تحوّلي من رجل إلى طيف وما استطعتُ البكاء.

وهناكَ حيثُ وقفنا مرّةً متسمّرين على جذع سنديانة، جاهدتُ كيما أراك في ضبابِ الخوف الذي موّهَ صفاءَ البلاد، شطرْتني إذْ سحبْتَ أصابعك قبلَ اشتباكها بأصابعي، لملمتَ ارتباككَ و نبضاتكَ المتسارعة و صرختَ:

« منذُ متى لم تنظر في المرآة؟!... أنت تتآكل»

في الواقع أنا كنتُ على علم باهترائي الدّاخليّ غيرَ أنّي لم أفكّر أبداً بأنّه باتَ ظاهراً للعيان، تمليتُ في قبضتكَ المضمومة و أجبتُ بأصابع مرتعشة :

« بلى هو شبحي منْ يحدّثك... الوغدُ الذي يفكّرُ في الانتحار... تفكّكهُ الهمومُ ويفتّتهُ الألم، يقولونَ أنّي يائسٌ ويقولونَ أنّي عاشقٌ ويقولونَ أيضاً أنّي مريضٌ... في الحقيقة أنا لا أعرفُ من أصدّق»

أمطرتني همساً منعشاً وأنت تزيحينَ إحدى خصلات شعرك عن فيضانِ رقيق:

« صدّق قلبكَ»

رفعْتني إلى روحي بمنتهى الخفّة، أغمضت عينيكَ فيما الشّمس تبدّلُ فوقَ وجهك مواقعَ الظّلال ، تنهّدت وأكملت بنبرة مكسورة:

« لا شيء يُبقيكَ هنا سوى العواطف، فكّر بنفسكَ يا صديقي فعندَ النّهايات كلُّ النّاس تَنْسى وكلُّ الناس تُنْسى... عندَ النّهايات لا أحدَ يموتُ من الحنين»

خبطْتُ يدي بالجذع الصّامت وهتفتُ:

«سأفعلُ ما تشائين لكن بربّك... لا تغمضي عينيك»

لا أستطيعُ فَهمك

لا أستطيعُ فهمي

ابذل جهداً

صدّقيني أبذلهُ مضاعفاً لأكونَ طبيعيّاً...

بوصلتي كنت ونبيّتي التي اتّبعتُ حينما كذبْتُ...

آثرت نجاتي على انمحائي قبالتك، وأنا الذي أنقذتني من الموتَ قهراً ضغطْتُ حياتي في حقيبة ظهر خفيفة ومضيتُ، منحتنيَ تذكاراً... حفنةً من الرّصاصات الفارغة، لهذا الحدّ دفعتني نحو اللّاعودة، ولهذا الحدّ نجحت. كشطتُ عن جلدي يباسي وندباتَ الخوف ورحلتُ، خلفتُ ورائي جيشاً من طواحين الهواء... من خلفيات الحبِّ المنتزعة من حكاياهُ... جبالاً من المشاعر المنخورة... ونصفَ روح.

والآنَ في البلاد البعيدة تلكَ التي ارتميتُ في أحضانها وجعاً أشمُّ ياسمينَ بلادي كلّما تنفّستُ، أشربُ كوبَ ماءٍ فأعبُّ منهُ عسلَ الذّكريات، استعدتُ وزني، عولجت من الأوهام التي ظهرتْ في فحوصاتي العامّة، وأمست لي هيئةُ البشر وهيكلهم من الخارج، صرتُ أراك أكثر في ورقات الزّيزفون تطيّرها أمزجةُ الهواء وفي لثغات الصّغار وفي عناق النّاس للناس، تذكّرني بك فيروزٌ إذ سألتْ " كيفكَ إنتَ"، أشعرُ أنّني بأمسّ الحاجة لتقديم الإجابة لك أنت، أجلسُ في السّاحة المرصوفة على مقعد أنيق، أكتبُ وكأنْ للمرّة الأخيرة في حياتي فيما النّسيمُ الذي لم يردعهُ وزني يزحزحُ جسدي المجوّف و يذرو ما تبقّى من رماد الأغنية...

" يغالبني الوجدُ قليلاً لكنّي بخير أعملُ وأسكنُ وآكلُ وأتنزّهُ ولا تحنيني همومُ الغد، لازلتُ أمشي كلَّ يوم ساعتين، أصبحتُ أرقصُ دونَ خجل وأُغنّي في الشّارع دونَ التّلفت حولي، لم أعدْ أمارسُ في الخفاء أحلامي ولا أصفعُ عقلي إذا ما عارضني ولا أخافُ أبداً إذا ما كنتُ نفسي، لازلتُ موجوداً مثلك يا صديقتي لكنّي خسرتُ النّصفَ الأخيرَ من روحي و حدثَ ما لم تسعفك به النبوءةُ... لقد متُّ جداً من الحنين."

عجاف سمان

• أحمد جميل الحسن

حين كان الرخاء والأمان يعمان الحجر الأسود؛ كانت القطط تتغذى على ما تيسر، مما تقدمه لها الأسر الفقيرة، متواضعة الحال، وكانت هيئتها تدل على أنها تفتقد إلى الغذاء الجيد، فالنساء في الحجر الأسود؛ مهوسات بداء اسمه: «النظافة».

لذلك كانت النسوة يتخلصن من فضلات الطعام بسرعة، ولا يتركن مجالاً للقطط للعبث بمحتويات أكياس القمامة، في المطابخ أو أمام البيوت، لذلك كانت هذه القطط النحاف؛ تتقاتلن دائماً على مكبّات القمامة، وخاصة المكبّ الكبير، قرب خزان الكهرباء.

ومن حيث وجبة القطط المفضلة، الجرذان والفئران؛ فقد قضت عليها النسوة منذ زمن بعيد، سواء بوساطة القتل مباشرة، بأيدي الجريئات منهن، أو بأيدي رجالهن، أو بالسم.

سنوات وسنوات مضت على هذا الحال، ولم تهاجر أو تترك الحي قطة واحدة، طمعاً بطعام أفضل، أو مكان رطب صيفاً ودافئ شتاء، بل بقيت متمسكة بالبيئة التي ألفتها، والمكان الذي احتضنها، ما خلا تلك القطة، التي استجابت لمواء قط عاشق متيم، يقيم في اليرموك، أو سبينة، فخدعها، وأبعدها عن مسقط رأسها، أو مملكتها التي ترعرعت فيها .

مشهد طارئ:

ما أدهشني: هو عودة الكلاب بكثرة وشراسة إلى الحجر الأسود، بعد مرور سنوات طوال افتقدناها، كنت أسمع بفترات متباعدة نباحاً خافتاً، من عمق الليل، لكلب قد يكون ينادي محبوبته، أو يبكي هجرانها، أو فقدانها، أو ضلّ طريقه، التي كان يسلكها مع أصدقائه، وهم في رحلة البحث عن صيد يأكلونه.

باتت تلك الكلاب تسهّدني، وتقضّ مضجعي ليلاً، لدرجة أن ضجيج نباحها، طغى على صوت الانفجارات، وأزيز الرصاص.

أدفن رأسي تحت الوسادة، حتّى يمضي قطيع الكلاب المسعورة، الشاردة، تحت بيتي، مطارداً كلباً، استحوذ على دجاجة عفنة، تفوح منها رائحة ناخزة، تزكم الأنوف، و«تليع» المعدة، وقد تركت في براد بيت، هجره ساكنوه على عجل، هرباً من قذيفة عمياء، أو من اشتباك قريب بين الأخوة، واستباحه اللصوص، بعد هربهم، فتركوا أبوابه مشرعة، تنادي الكلاب والقطط.

مشهد من الماضي القريب:

في الحجر الأسود؛ كنت أصحو على تغريدات العصافير الكثيرة جداً، تتراقص على شجرة التوت، العملاقة، الشامخة في بيت الشيخ أبو حاتم، الشوارع تشتكي من كثرة الناس، ووقع خطاهم، صراخ الباعة في سوق الخضار، يجذب ربات البيوت المتلفعات بالسواد، والسافرات المطليات بكل أنواع الزينة، والموظفات بعد الدوام، رجال ونساء وصبايا حالمات وجوعى ومتسولين وعشاق يقتنصون فرصة ذهاب حبيباتهم للتسوق، (شوام، أدالبه، حلبيه، فلسطينيه، نازحين، حوارنه، وديريه، حماصنه، وساحليه، وحمويه، وأكراد، وتركمان، وعراقيين، وشركس، وبدو، و...).

كلهم يتناوبون بالتوافد والخروج من السوق. وفي الصباح وعند الظهيرة تتعالى في الشارع الرئيسي أصوات الطلاب والطالبات أثناء الذهاب وبعد العودة من المدرسة.

كنّا نسهر حتّى الصباح، يقرع بابي أبو محمود بعد الثانية فجراً، يريد سيجارة بعد أن نفدت سجائره، أذهب إلى بيت أم حميدو أستلف منها " غلوة " قهوة. أصوات تشق عتمة الليل في بيت أبو رامز، لشباب يلعبون "الشدّة"، وقرقعة نرجيلة رياض لا تهدأ، ويسترخي الهزيع الأخير، على همسات امرأة مغناج، تلتصق بزوجها، أثناء عودتهما من زيارة لبيت قريب، أو صديق .

أعيد صياغة المشهد:

الحجر الأسود شبه خال نهاراً، ومدينة أشباح ليلاً، يلف السواد أغلب بيوته ومحلاته، وركام هنا وهناك، بيوت مهجورة يجوبها الدمار، والخراب، وشرفات مصدومة صامتة، تحن إلى الجلبة وضجيج الأقدام. الكهرباء مقطوعة، والهواتف، ولا تغطية للجوالات، لا خبز، لا غاز، لا مازوت، ولا بنزين .

الجرذان والفئران؛ تقضي أجمل أيام عمرها تجول، وتصول في البيوت، والمحلات، والشوارع، تقضم ما تبقى، مما مونته النساء للشتاء. ولا تجفل إلا من قعقعة السلاح، أو صوت انفجار هنا وهناك، ولم تعد تنفر من رائحة البارود.

القطط في الحجر الأسود سمان جداً، والغذاء متوفر، نتف من لحم البشر، وأخر من الجرذان والفئران، ومن المونة، التي تلفت بعد انقطاع الكهرباء، القطط في الحجر الأسود مخيفة، أصبحت كالنمور الصغيرة.

الكلاب مسعورة متوحشة، أصبحت كالذئاب المفترسة، تملأ بطونها كل يوم من جثة إنسان، أو من بقايا أموات.

في الحجر الأسود؛ الجنازات تمضي إلى المقبرة الكبيرة، من دون طقوس الاستحمام الجنائزية المعتادة، من دون كفن، ولا عويل و بكاء، أو موكب عزاء، بضعة رجال أقل من عدد أصابع اليدين، وينهال التراب، وتطوى الحياة ومعها الذكريات.

لا خيمة للرثاء، ولا قهوة مرّة، ولا قارئ يرتل القرآن. لم يعد للدموع قيمة، ولا للحزن ذلك الوقع بالنفس، أصبح الجميع في موقع الآلام المألوفة، الناس في حالة هذيان، تتضرع إلى الله أن يعود الحجر كما كان، الناس تبحث عن وسيلة؛ تتعرف من خلالها على مصير الأقارب، والصحب، والجيران. النساء يهذين، والرجال في حالة نواح، والصغار يرتجفون من البرد، والخوف معاً.

أعيد الصياغة من جديد:

أستجمع شتات ذاكرتي، وأحاول ترتيب أحرفي، فجأة! يخفق قلبي لوعة، ويدميني ما يحدث في سوريا، و...، وتفرّ منّي الكلمات.

منازلُ العشق

•محمد الفهد

مرّات يهجرني الشعرُ
أحاولُ أن أفتحَ شبّاكاً
أن أتوكأ على لغة عليّ أدخلُ منها
فأعيدُ إلى روحيَ ألقاً
فَرحاً بلقاء حبيب يوقظُ ذاك الغافي
حتّى أشعرَ أنَّ خلايا الماء بقلبي
تعرفُ طعمَ الوقت وصوتَ الأرض العطشى
حينَ يجيءُ غمامٌ يغسلُ لونَ هواءِ المنفى
رائحةَ كلامْ
فأصيرُ أدندنُ أرفعُ صوتي بغناء
أرقصُ ، أجلسُ في الشرفة قلقاً
لكنَّ عيونَ الشعر تسافرُ
عن ظلّ الوقت وأسرار الأيّامْ
فأعودُ ويأسُ الكون يقلّبُ روحي
يسري في جسدي حتّى تتعالى
أصواتٌ من دائرة الخوف
فترمي إصبعَها في وقتي
وتنقّرُ في دقّات الساعة مثلَ يمامْ
ويمرَّ الوقتُ ثقيلاً فوقَ دمي
لكنَّ الصدفة تحملُ عصفوراً
يستجدي أنثاه غناءً ويسرّح أمواجَ الألحانْ
فإذا بالقلم الساكت يهذي
ويصيرُ مآذنَ وجدٍ
وتعرّشُ فوقَ القولِ روحُ سلامْ

وأنامُ بحلم يتعالى حتّى يوقظَ دفترَ ساعاتي
وأفاجئُ صفحتهُ بمدائنَ من فرح
تعطي لبياض الورق الأعمى قلباً
يبصرُ دورتهُ ، ومنازلَ من عشق ترفعُ شارتها
وغناءً يتعالى فوقَ الواقع
يأخذني لأحسَّ بنشوة وجد
يوقظُ روحي، يدفعني أن أركضَ
في كلمات جريدهْ
يا الله ...قد بدأ الروحُ يماشي الكونَ
ينادي أصواتاً، يعزفُ لحناً
فهنا فوقَ بياض الورق الصامت
أشجارٌ بدأتْ تورقُ
والنهرُ يحوّمُ كي يكتب ماءَ قصيدهْ

بابٌ لها
هيأتُ أسبابَ القصيدة واندفعتُ وراءَها
غجراً على مرأى من الأيدي تزفُّ فضاءَها لحناً
فتوسعُ صوتَ أقلامي وذاكرتي
وما أوصتهُ ذاكرةُ النخيلْ
فأضعتُ في مسعايَ أحلاماً وأسماءَ
وما تركتْ وصايا الأهل في روحي
لتنسجَ دورةُ الأشعار ميناءَ الهديل
فاغفرْ لي الأخطاءَ ما اقترفتْ عيوني
في سماء الشهوة الكبرى
وانظرْ إلى روحي وكيفَ تجرَّحتْ أنسامها
مثلَ الجروف تمورُ بالذهب العتيق
يكونُ في مرآتها وجهُ الدليلْ

بابٌ لها مرّةً أخرى
وأنا أحاولُ أن أرممَ دورةَ الدنيا
وما اقترفت يداي على الصدور
وفوقَ ميناء العبور
سمعتُ صوتاً يأخذُ الإنشادَ من آفاقه
ويصيرُ قربَ الروح محمولاً على كتفَ التلهُّف
يحتفي عندَ الضلوع وحاملاً أفقَ الجمالِ
إلى الموانئ والمدى ويسيرُ في فرح
كأنَّ الكونَ في أحلامه قد صارَ مجبولاً
على طرف الأصابع أو عندَ أصوات الخيالْ
فهممتُ أنَ أسري إلى ليل الشوارع
لكنَّ صوتاً جارحاً أخذَ الطريقَ إلى التذكُّر والصدى
فسمعتُ إنشاداً يمجّد وجدَ أحلامٍ وذاكرةٍ
وما تركته أنسامٌ بنا
ويهيمُ في مرآتها كلُّ اللواتي جئن من صوبِ الغيوم
ورحنَ يمسكن المدى في قبلة أو لفتة
ورحلنَ كي يبقى على قلبيَ صدوعٌ
من عويلِ الليلِ مسفوحاً على درب الرمالْ
وعلى يمينِ الوقت من صوت الندى
راحتْ عيونُ الماءِ تندهُ ما تبقّى منهمُ
في ليل هذي الحرب ثمَّ تصرخُ بالعويل
كأنها راحت لأولِ مرّة نحوَ الصدى
ما صارَ في تلكَ الشوارع من مرافئ نظرة
سكنتْ عيونَ القهر وجداً ثمَّ راحتْ تسردُ
القصصَ العجيبةَ والدمارَ وما تلوّن من عيوبِ فوقنا
حتّى تجلّى صوتُهُ أفقَ الرحيلْ
فوقفتُ في مينائهم أصبو جروحاً غضّةً
تلكَ الموانئ ودّعتْ شطآنها
والماءُ يكبو فوقَ أسماءِ السرابِ
وعندَ أوجاع النخيلْ
فتركتُ صوتي عندها وشردتُ أمشي
دونما ظلٍّ كأني واحدٌ غيري
وقد ماتَ المدى في أوّل الخطواتِ
نحوَ الماءِ أو صوتِ الدليلْ

درّة كنعان

•د. سامي الشّيخ محمّد

بحجمِ الكونِ
بوزنِ الجبالِ
بوسعِ السّماء والأرضِ
والبحارِ
شوقٌ لا ينتهي
لدُرّة كنعان المهيبة
سيّدة الممالكِ والبلادِ
كُلّما لاحَ طيفُها لباصرةِ العيونِ
أو هبَّ عبيرُها في معارجِ الرّوحِ
•••
هي الشّمسُ
وضوءُ القَمَر
نسمةُ الرّوحِ المسافرة إلى
موطنها الأوّلِ
وملاذِها الأخير
•••
حكايةُ الزّمانِ
نَقَشَتها حروفُ السّرمديّة
على جدارِ نجمة
بلونِ حبّاتِ القمحِ الذّهبيّة
و الزّعترِ الأخضَرِ
برائحة الجوريّ والياسَمينِ
بطعمِ التّينِ والصّبّارِ
في موسمِ الحصادِ المُباركِ والإثمارِ
•••
كرمةٌ شهيّةُ الطّعمِ
تقطرُ خمرَها
للفصولِ كُلّها
طيّبةُ المذاقِ
•••
حاضرةُ البحرِ
تحفّها نسماتُ الشّوقِ المترعة بالحنين
في الصّيف
والشّتاء

زوربا يرقص في دمي

•فاطمة علي الجمعة

همسٌ تراءى في فيافي الصّمت يسكبُ زهرةَ النجوى
يعطّرُ بالندى شفةَ القصيدةَ .. يحتوي بردَ الزمانْ
يشعلُ الأحلامَ في العمرِ المراوغِ بُحّةَ الذكرى
و يُمعنُ في السكونْ
ها أنتَ في عينِ الحقيقة ظلُّ أمنية
تُراودُ في كنايتها جمودَ الحرف .. تنتعلُ البيانْ
هل تسفحُ الأيامَ في شغف الخلودِ
و تُسرجُ الأملَ البريءَ بمقلتيَّ
و تسلبُ النايات من أنّاتها؟
من أنتَ في وضحِ الضبابَ؟
تؤثّثُ الأرواحَ تركضُ في سنابلكَ الرياحْ

من ذا يراكَ سوايَ في عبقِ الهروب إلى الجنونْ
من يستقي من راحتيكَ سوايَ أنسامَ الحياةْ
إنّي أناكَ تجلّياً قبل الشتاتْ
دعني أخطُّ على دمي رقصَ النهايات الحزينة
إذْ تعتّقُنا الغوايةُ دهشةً تتلو تراتيلَ الرفاتْ
إني على جسدِ التغرُّب وشمُ حزنٍ
ضاعَ بينَ ضُلوعه نبضُ الحنينْ

أمشي على دربي كمنْ لا ظلَّ يحملُ روحهُ
كالبحر لا ذكرى تُداعبُ شطَّهُ ..لا حُلمَ يبكي حضنَهُ
أمشي كأني لم أكنْ

و كأنَّ روحي في تجلّيها غفتْ ..وغفا بعينيها كفنْ
كم أشتهي موتي على صدرِ الزمنْ
صرتُ أخشى الشيبَ يغزو الروحَ يعتصرُ الرّؤى
أتراكَ ظلّي حينَ تغتالُ اندهاشَ طفولّتي
أوحينَ تعبرُ بُحّتي عتماً فتختزلُ الصدى
ها أنتَ في جفنِ المدى
أرجوحةٌ من فجرِ دمعٍ يقتفي
في البُعد أغنيةَ الجراحْ
و بروحيَ السّكرى سماواتٌ يُهدهدُها الصباحْ

فراشــةُ الضّــوء

أيمن إبراهيم معروف

-1-

كانَ الكلامُ ولمْ يكنْ أحدٌ. وكانتْ آيةُ الصّمتِ الكبيرةُ في اتّساعِ الصّمت. كانَ اللّيلُ يقرأُ في كتابِ اللّيلِ عنْ ليلٍ تجيءُ به القصيدةُ للقصيدة. كانَ ثَمَّةَ جدولٌ يحبو فتحبو في نوايا الفنِّ ربّاتُ الجلال. وكانت امرأةٌ، يقولُ الماءُ، : أقسى منْ خيالِ هاربٍ في رعشةِ التّكوين، بلّلَها نُعاسٌ غامقٌ يحتدُّ بالأسرار، فانْحنَت القصيدةُ في الأعالي تحتَ وَقْعِ الحبِّ وارتبكَ النّدى. حتّى إذا انْدَلَقَ الصّباحُ على الكلام، وكانَ قيسٌ، قالَ، : إنَّ الحبَّ ليلى. مثلما ينثالُ منْ شفتَيْكَ تعريفُ القصيدة، : - نَبْتَةَ الصّمتِ اليتيمة.

-2-

ها أنتَ تخرجُ منْ شفيفِ النّصّ ، ثُمَّ تدخلُ منزلَ الرُّؤيا، وتبتكرُ الطّرائقَ والحرائقَ للعبارة. كيفَ يحملُها خيالُكَ جُلّنارَ فراشةٍ يُضْفي على الكلماتِ ما يَسَعُ التّأمُّلَ أنْ يُضيءَ الكونَ. كيفَ تُقيمُ نَصّانيَّةَ الأشياءِ منْ ماءٍ ومنْ ضوءٍ ومنْ مطرٍ غريبٍ مثلَ صمتِ الغَيْب. تصنعُ للجمالِ كمائناً وتُحيكُ لعبتَهُ الخفيَّةَ في الهدوءِ. تُقيمُ منْ سِفْرِ الجلالِ حدائقَ المعنى وتسألُ في العبارة، : مَنْ رآني.

-3-

أنتَ اقترحتَ الكأسَ والمنديلَ واللُّغةَ القريبةَ منْ نهارِ النّاسِ أنساغاً لنبضِ النّصّ. أنتَ اتّكأتَ على الخبيءِ منَ العبارةِ والمُجرَّبِ في البهاءِ الصّرْفِ كيْ تَصِفَ اخْتلاجَ الذّاتِ في ذكرى حبيبٍ أو غريبٍ أو مدىً يَنْداحُ في هذي الكثافةِ منْ جنونِ الوقت. كيفَ تُسْرِفُ في اختزالِ الضّوءِ أو ما كانَ منْ شَغَبِ الكواكبِ أو إزارِ الظّنّ ، ثُمَّ تفكُّ أزرارَ التّفاصيلِ الصّغيرةِ كيْ نرى لغةَ القيامةِ في دمِ الأشياء. /نحنُ الواقفينَ على سوادِ الحبرِ لمْ نتعلّمِ التّحليقَ في مرآةِ ضوئكَ. لمْ نُغادرْ نقطةَ الحبرِ الغشيمةِ. لمْ نُسافرْ في النّهاراتِ البعيدةِ والبياضِ الجمِّ. لمْ نسبحْ لكيْ نتعلّمَ الأنهارَ/. لمْ نخدُشْ يقينَ العينِ كيْ نتعلّمَ الرُّؤيا. إذاً. مَنْ قالَ، : إنَّ الصّمتَ تأويلُ الفراغِ. وإنَّ هذا اللّيلَ في تأويلِ غيرِ اللّيل، : أعمى.

-4-

ماذا سنفعلُ بالوضوحِ مُعلَّقاً في رُدْهَةِ اللّاشيء. أو ماذا سنفعلُ بالغموضِ يظلُّ اسماً في خيالِ الذّاهبينَ إليّ متروكاً بلا الكتابة. كيف نعبرُ محنةَ المعنى ونشحذُ منْ دمٍ ليلاً لأشواقِ القصيدة. قُلْ لنا، : كيفَ ابتكرتَ الغيمَ للأمطارِ، والأمطارَ للأنهارِ، والأنهارَ للبحرِ المُفاجئ. ما حدودُ الرّوحِ عندَكَ. ما حدودُ الصّمت. مَنْ تلكَ الغزالةُ فوقَ شبّاكِ التّذكُّر. كيفَ تعبرُها خلايا الضّوءِ. ترتقُ منْ نسيجِ القلبِ أشرعةً وتَفْدَحُ بالخيالِ الطّفْلِ أسماءَ الكواكب.

-5-

يا أيُّها الضوءُ المسافرُ في بـراري الشِّعْر. علّمني القيامةَ وارتباكَ الفجرِ والأنهار كي أتعرَّفَ الأسرارَ في تظليلِ أسئلةِ الوجـود، وخذْ هوائي للقصيدةِ مثلما تهوى، وهبْني ما تشاءُ فراشةٌ في حقلِ ضوئكَ، : أنْ تقولا.

خذْني إلى التّأويلِ والتّخييلِ والتّشكيلِ كي تتعلّمَ الكلماتُ، : أنْ تحيا طويلا.

ليلة لؤلؤية

• أمال شلهوب

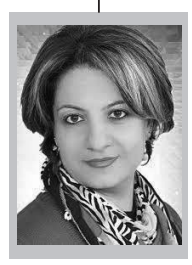

يترك خلفه نقاطاً تتحول إلى فقاعات كبيرة تلاحقه دوائـرُ هوائية ،ثم تتلاشى عندما تلامس طرف معطفه الـذي تـركـه مفتوحاً أمـام هبات دافئة بعد ليلٍ طويل .

اتـأدتْ خُطواتـه معتزاً بنفسه ،والحقيقة أنـه ما زال ثملاً بعينيها البنيتين مُسْكراً بلحظة إغماضتهما وهي بين ذراعيه تختبئ قطةً صغيرةً هاربةً من البرد، لتتدثر بمعطفه، فيغمرها بشهية متأججة كلما دعته لاحتضانها.

لم يقلْ لها أنـه استغرب اختيارها لهذا المكان، فهو يعرف براعته في فنون اللهفة على الأنثى.

في ذلك المساء، حيث كانت على بعد عشرين متراً من منزلها ،حين لمستها سيارة تتحرك باتجاه الخلف .أسرع نحوها كالفهد .أخذ يدها وبدأ يتلمّس جسدها من خلال سُترتها البيضاء .يسألها إنْ أصابها مكروه . نسيتْ نفسها في تلك اللحظة ، وقد خامرها الشك بأنها تعرف هذا الوجه الرجولي . تفحّصتْ عينيه اللتين فاضتا بالخوف عليها .

لم تجبْ بكلمة بل سألتْ عن ذلك الشيء الذي اشترته بمبلغ يعادل راتب موظف .

قال :إنه هنا لا تقلقي المهم أنك بخير.

أخذتْ الكيس من يده حضنته بين ذراعيها ، وعلى شَفاهها ابتسامة ساخرة .

رافقها إلى حيث البناء الحجري، وقبل أن تتركه توسّل إليها أن تُفصح عن اسمها بعد سؤاله المتكرر :هل أنت " المهاة " ؟

رمقته عند نهاية المدخل وأجابته: أنت قلت. غابتْ من أمامه وعاد إلى أحضان ذاكرته.

إنها هي ..تلك المرأة التي تعلّقتْ بي منذ عشرين عاماً ،حين قالت لي: إنك أول وآخر رجل في حياتي .

سررتُ لأني الأول ، وحزنتُ لأني الأخير ، وبكل أنانية أجبتها : لا أحب التقيّد وكي أكون آخر رجل لا بد من الزواج ذلك القيد اللعين .

فأنا أحب جميع الألـوان ولا أستطيع الارتباط بلون واحد طوال حياتي .

آه.. كم كنت وغداً عندما أقفلت السماعة قبل أن تنهي حديثها ، لم أكنْ أعلم أن اللون الأبيض الذي تحبه كثيراً يختصر الألوان كلها .

لحظةٌ بعد غربة طويلة ..أعادتني إلى ليلة واحدة غير مكررة ..تلك التي أطلقتُ عليها اسم الليلة اللؤلؤية ..كانت تشبه لون الثوب داخل الكيس الورقي الذي أمسكته ،فعرفتُ أنـه غـالي الثمن من خـلال الماركة العالمية المسجّلة عليه .

حلقتْ عيناه في سماء المدينـة متجهاً إلى منزله يسائل الليل: هل نحتاج لأسماءَ وعنـاوينَ كي نـدرك قيمة الأشخاص في حياتنا ؟ وهل اغترابُ أرواحنا هو السبب في فقدان ذلك الإدراك ؟

دخل منزله وبدأ يفتش في أوراقه القديمة ،يبحث عن رقم هاتفها ،ليجد ورقة صفراء مكتوب عليها .. رسالةٌ إلى "المهاة" :

" أكتبُ لك دون إليك ..أيتها القطة البيضاء..! أعذريني.. لم أقلْ حمامة بيضاء ،أودّ قولها بقلبي لكنني لا أثق بخافقي المعذّب .عليك أن تسمعي أنيني الذي وُلدَ منذ أن تزوج والدي بعد وفاة أمي بشهرين فقط .لقد كنت حجته، لأنني بحاجة إلى الرعاية، وأنا ابن الخامسة من عمري .

دخلتْ زوجته إلى منزلنا ولم أَحْظَ إلا بالعنف .أركض في باحة المنزل ،أبحث عن نجدة من أمي فلا أرى سوى ملامحَ بسيطة من وجهها المعلق فوق شجرة الياسمين .

وعندما نبت جناحاي طرتُ إلى باريس حيث يقيم خالي، هناك عملتُ معه وعدتُ بعد سنين برصيد يؤهلني للانفصال عن والدي .. وبدأتُ رحلة البحث عن أمي.

اعذري أنانيتي أيتها "المهاة" فلا بد من متابعة البحث .

انتهتْ الرسالة بتوقيعه دون تدوين اسمه ،أعادها إلى المحفظة، ويده ترتجف من البرد على الرغم من الطقس الربيعي .استمر في العبث بـالأوراق، وجد ورقـة مكتوب عليها الرقم ،أمسك بالهاتف واتصل .. أجابه صوت تمتمات : الرقم غير مخصص للخدمة .

لإمرأة واحدة فقط

• نيفين شقيرة

صدرت منها صرخة ترفض الوجود وتعد بصمت استمر خمسين عاماً وسيبقى لتغادر مهزومة الإرادة كما ولدت__ فالخلق والموت__عنوان لإرادتنا المسلوبة. لم تعلم أنها بكل خطوة كانت تزف جثماناً لحياة اعتادت أن تطلق أبناءها أو تطلق نحوهم رصاصة الخيبة، فالأمر سيان. كؤوس ترتفع والكل يشرب نخب صمته وربما نخب أمور دفينة مغلفة بنخب الفرحة؛ أماهي فلم تكن تعلم أنها تشرب نخب هزيمتها.. هكذا نحن ربما سنشرب يوماً ما نخب حتفنا ببلاهة موروثة كسلحفاة بحرية خرجت لتوها من قشور كلسية ومشت بحمق فطري نحو البحر لتواجه قدرها أو ربما حتفها لاندري.

قالت بصوت لم يكن يوماً ملكها..بوتيرة انهزامية أزلية التهمت عقولنا (أشهد أن لا إله إلا الله) مدركة أن ماكان لها من إرادته ومشيئته؛ أتراها لاتدري أن الله يسكن قلوب الأقوياء فقط؛ أم أنها بقولها تعري الحقيقة. هاهي الآن تسعد بمشاهدة دمية.. نظراتها الضائعة تلاحق حركات أذرعها. لطالما آلمتني نظراتها.. لطالما استوقفتني لأجد نفسي ضعيفة بحجم قضيتها؛ كنت على وشك أن أقول لها؛ خذيها إنها لك لولا أنني تذكرت أن هذا سخف طفولي؛ سخف بحجم قضيتها وانحدار بحجم قضيتها؛ فمن قال إن القضايا الكبرى هي قضايا أوطان وشعوب فقط؛ إنها قضايا أمهات وطن.. أرحام وطن؛ وعندئذ لن يكون للقضية من عنوان.

شـــاعرات أندلســيات

•ماجدة رحيباني

للعصر الأندلسي صفتان متناقضتان: التعصب والاستبداد من ناحية، والتساهل والحرية من ناحية أخرى...

وقد ساعد الفقهاء في دعم شعور التعصب لما لهم من نفوذ ديني، وإن كانت تمر فترات لملوك عادلين ينتصرون لحرية الفكر، ومثال ذلك زمن الموحدين، فانتشرت إلى جانب ذلك التعصب حياة الدّعة والتساهل والحرية مادامت لا تتصل بأمور السياسة والدين والحكم والمصالح الذاتية...

وعرفت الحضارة تطورات مختلفة مسايرة للتطور السياسي، وقد كان لطبيعة الأندلس الفاتنة أثر كبير في نظم الشعر كما يقول ابن بسام في الذخيرة(1)، ولم تقتصر الرغبة في نظم الشعر على الرجال بل جاوزتهم إلى النساء فنبغ منهنّ شواعر كدن يضاهين الشعراء، منهنّ ولاّدة بنت المستكفي الخليفة (وقد كُتب عنها وعن أخبارها الكثير)، وحفصة بنت الحاج الرّكونية، وحمدة بنت زيادة المؤدّب التي عرفت بخنساء المغرب.. الخ، وجميعهن ذوات جمال وظرف..

حفصة الركونية

هي حفصة بنت الحاج الركونية، الشاعرة، الأديبة، المشهورة بالجمال والحسب والمال، وقد قالت في أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي(2) ارتجالاً بين يديه:

يا سيِّد الناس يا مَنْ
يؤمِّل الناسُ رِفْدَهْ
أُمْنُنْ عليَّ بطرس(3)
يكون للدهر عُدَّهْ
تخطُّ يُمناك فيه
الحمد للّه وحدهْ

وفي قولها (الحمد للّهَ وحده) إشارة إلى العلامة السلطانية عند الموحدين: وهي أن يكتب السلطان بخط غليظ بيده في أعلى الصحيفة في رأس المنشور «الحمد للّه وحده»..

أنشد لها أبو الخطاب في كتاب «المُطْرب»:

ثنائي على تلك الثنايا لأنني
أقول على علم وأنطق عن خُبْرِ
وأنصفها لا أكْذِبُ اللّه إنني
رشفتُ بها ريقاً أرقَّ من الخمر

وقد أولع بها ملك غرناطة (أبو سعيد بن عبد المؤمن).. وبسببها تغيَّر على أبي جعفر بن سعيد إلى أن قتله. وطلب أبو جعفر منها الاجتماع فمَطلَتْهُ قدر شهرين فكتب لها:

يا مَنْ أجانبُ ذكرَ اسْـ
ـمِهْ وحبّي علامهْ
ما إن أرى الوعدَ يُقْضَى
والعمرَ أخشى انصرامَهْ
أنوحُ شوقاً ووجداً
إذ تستريحُ الحمامهْ
إن لم تُنيلي أريحيْ
فاليأسُ يثني زمامهْ

فأجابته:

يا مدَّعي في هوى الحسْـ
ـنِ والغرام الإمامهْ
ضَلَلْتَ كلَّ ضلالٍ
ولم تُفدْكَ الزَّعامهْ
باللّه في كلِّ وقتٍ
يُبدي السحابُ انسجامَهْ
والزهرُ في كل حينٍ
يشقُّ عنه كمامَهْ
لو كنتَ تعرف عذري
كففتَ غربَ المَلامَهْ

أرسلت هذه الأبيات مع من حمل إليها أبيات أبي جعفر بن سعيد بعدما لعنته وسبّته قائلة: «لعن اللّه المرسِل، والمرسَل...وانصرف يعاني من الخزي فبادره أبو جعفر بقلق وترقب: ما وراءك؟! قال: ما يكون وراءَ من وجهه خَلفٌ إلى فاعلة تاركة ودفع إليه بالأبيات فلما قرأها قال للرسول: ما أسخف عقلك وما أجهلكَ!.. إنها وعدتني للقبة التي في جنتي المعروفة «بالكمامة» وتوجها إلى المكان،وإذا بها كانت قد وصلت واراد عتبها فانشدت:

دعي عدَّ الذنوب إذا التقينا
تعالي لا نَعدُ ولا تَعدّي

وجلسا سعيدين وإذا برقعة الشاعر أبي بكر الكُتَنْدي لأبي جعفر وفيها:

أبا جعفر يا بن الكرام الأماجد
خَلوتَ بمن تهواه رغماً لحاسد
يبيت إذ يخلو المحبُّ بحُبِّه
ممتّع لذات بخمْس ولائد

ولما قرأها على حفصَة، قالَت: لعنَه اللّه، قد سمعنا بالوارش(4) على الطعام، والواغل(5) على الشراب، ولم نسمع لمن يعلم باجتماع مُحبَّين فيبغى الدخول عليهما، فقال لها أبو جعفر: سميه لنكتب له بذلك، فقالت: اسميه الحائل، لأنه يحول بيني وبينك فكتب له في ظهر رقعته:

يا مَنْ إذا ما أتاني
جعلتهُ نُصبَ عيني
تراكَ ترضى جلوساً
بين الحبيب وبيني
إن كان ذاك فماذا
تبغي سوى قرب حَيْني

وكتب له ما دار بينه وبينَ حفصة من الكلام وختم ذلك بقوله:

سمَّاكَ من أهواهُ حائلْ
إن كنتَ بعد العتبِ واصلْ
مع أن لونكَ مُزعجٌ
لو كنتَ تحبس بالسلاسلْ

وقال أبو جعفر بن سعيد: كنتَ يوماً في منزلي مع من يُحب أن يُخلى معه من الأجواد الكرام، على راحة سمحتْ بها غَفَلات الأيام، فلم نشعر إلاّ بالباب يُضرب، فخرجت جارية تنظر مَنْ الضارب، فوجدت امرأة فقالت لها ما تريدين؟! فقالت: ادفعي لسيدك هذه الرُّقعة، وكان فيها:

زائرٌ قد أتى بجيد الغزال
مُطلعٌ تحت جُنْحه للهلال
بلحاظٍ من سحر بابل صيغتْ
ورضاب يفوق بنتَ الدوالي،
يفضحُ الوردَ ما حوى منه خدٌّ
وكذا الثغرُ فاضحٌ للآلي
ما ترى في دخوله بعد إذن
أو تراه لعارض في انفصال

فعلمتُ أنها حفصة وقابلتها بما يقابَل به من يشفع له حُسْنُه، وآدابُه، والغرامُ به، وتفضّله بالزيارة دون طلب، في وقت الرغبة في الأنس به.

> عرفت الحضارة تطورات مختلفة مسايرة للتطور السياسي، وقد كان لطبيعة الأندلس الفاتنة أثر كبير في نظم الشعر

نَزْهون الغَرناطية

قال فيها أبو سعيد في «المغرب»: من أهل المئة الخامسة كما ذكرها الحجازي في «المُسهب» واصفاً إياها:

خفيفة الروح، حافظة للشعر، عارفة بضرب الأمثال، جميلة حسناء..

كتب لها الوزير أبو بكر بن سعيد وكان مولعاً بمحاضرتها ومراسلتها:

يا مَنْ له ألفُ خلٍّ
من عاشقٍ وصديقِ
أراكَ خليّتَ للنا
س منزلاً في الطريقِ

فأجابته:

حَلَلْتُ أبا بكر محلاً مَنعتُه
سواكَ، وهل غيرُ الحبيب له صدري
وإن كان لي كم من حبيبٍ
يقدّم أهل الحق حبَّ أبيّ بكرِ

ولما قال فيها المخزومي:

على وجه نزهون من الحسن مسْحَةٌ
وتحت الثياب العارُ باديا
ذقو قواصدُ نزهون توارك غيرها
ومَنْ قصدَ البحرَ استقلّ السَّواقيا

فقالت:

إن كان ما قلتَ حقاً
من بعض عهد كريمِ
فصارَ ذكري ذميماً
يُعزى إلى كلِّ لومِ
وصرتَ أقبحَ شيءٍ
في صورة المخزومي

وبينما كانت تقرأ على أبي بكر المخزومي دخل أبو بكر الكتنديّ فقال والخطاب للمخزومي:

لو كنتَ تبصرُ مَنْ تجالسه...
فأفحمَ، وأطال الفكرةَ، ولم يجد ما يقوله...
فقالت نَزهون:
لو كنتَ تبصرُ مَنْ تجالسه
لغدوتَ أخرسَ من خلاخله
البدرُ يطلعُ من أزرّته
والغصنُ يَمرحُ في غلائله

ومن شعرها:

للّه درُّ الليالي ما أحيسنَها
وما أحيسنَ منها ليلةَ الأحدِ
لو كنتَ حاضرنا فيها وقد غفلتْ
عين الرقيب فلم تنظر إلى أحدِ
أبصرتَ شمس الضحى في ساعديْ قمرٍ
بل ريمَ خازمةٍ في ساعدي أسدِ

حمدة بن زياد

ويقال لها حمدونة بنت زياد المؤدب من وادي آش، وهي شاعرة الأندلس، وخنساء المغرب على الرغم من أن شعرها ليس في الرثاء، بل في الغزل، ذكرها "الملاحي" وغيره وممن روى عنها أبو القاسم بن البراق، ومن عجيب شعرها قولها:

ولما أبى الواشون إلّا فراقنا
وما لهم عندي وعندك من ثار
وشنّوا على أسماعنا كل غارة
وقلّ حماتي عند ذاك وأنصاري
غزوتهم من مقلتيك وأدمعي
ومن نفسي بالسيف والسيل والنار

وبعضهم زعم أن هذه الأبيات للشاعرة (مهجة بنت عبد الرزاق الغرناطية):

وخرجت مرة حمدونة إلى الوادي مع صبية فلما خلعت ثيابها ونزلت الماء أنشدت:

أباح الدمع أسراري بوادي
له للحسن آثار بوادي
فمن نهر يطوف بكل روض
ومن روض يرف بكل وادي
ومن بين الظباء مهاة أنس
سبت لبّي وقد ملكت فؤادي
لها لحظ ترقده لأمر
وذاك الأمر يمنعني رقادي
إذا سدلت ذوائبها عليها
رأيت البدر في أفق السواد
كأن الصبح مات له شقيق
فمن حزن تسربل بالحداد

وهناك رواية تقول: إن هذه الأبيات للشاعرة حمدة العوفية، وقد نسب الأندلسيون إلى حمدة بنت زياد المؤدب الأبيات الجميلة الآتية وهي شهيرة في بلاد المشرق:

وقانا لفحة الرمضاء واد
سقاه مضاعف الغيث العميم
نزلنا دوحه فحنا علينا
حنوّ المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظمأ زلالاً
ألذّ من المدامة للنديم
يصدّ الشمس أنّى واجهتنا
فيحجبها ويأذن للنسيم
يروع حصاه حالية العذارى
فتلمس جانب العقد النظيم

ويرى بعض المؤرخين من بينهم ابن النديم أن قائل هذه الأبيات هو الشاعر المنازي إلا أنّ أبا جعفر الأندلسي الغرناطي نزيل حلب له رأي مخالف: "وقد تلبس بعضهم أيضاً، وأدّعى غير هذا من أشعارها، وهو قولها: وقانا لفحة الرمضاء، وأن هذه الأبيات نسبها أهل البلاد (أي بلاد المشرق) للمنازي من شعرائهم وركبوا التعصب في جادّة ادعائهم، وهي أبيات لم يحلها غير لسانها ولا رقم برديم غير إحسانها..."

ولقد رأيت المؤرخين من أهل بلادنا، وهي الأندلس أثبتوها لها قبل أن يخرج المنازي إلى الوجود، ويتصف بلفظة الموجود"

---

1 - نفح الطيب: فصل الأديبات من نساء الأندلس، ج2، ص 1076 – 1148.

2 - المؤسس الحقيقي لدولة الموحدين في الأندلس (1130 – 1163م) بعد أن قضى على دولة المرابطين وغيرها من دول الطوائف بدءاً من عام 540هـ/ 1145م. استمرت دولة الموحدين في الأندلس حتى سنة 632هـ/1235م.

3 - طرس: ج. أطراس، وهي الصحيفة.

4 - الوارش: من ورش الطعام، تناوله أو أكله أكلاً شديداً...

5 - الواغل: الداخل على شراب قوم دون دعوة ولا إنفاق..

6 - بنت الدوالي: هي الخمر ومن أسمائها أيضاً: ابنة العنب، وابنة الكرْم، وابنة الدّن.

المصادر والمراجع:

1 – جودت (الركابي): في الأدب الأندلسي دار المعارف بمصر 1960.

2 – لين بول (ستانلي): الدول الإسلامية، نقله إلى العربية من التركية محمد صبحي فرزت، دمشق، 1974م.

3 – المقري (شهاب الدين أحمد) (ت 1041هـ - 1631م).

(نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب، طبعة محيي الدين محمد (القاهرة 1949م).

4 – المقري: (شهاب الدين أحمد): الأندلس (من نفح الطيب)، نشر عدنان درويش ومحمد المصري، وزارة الثقافة – دمشق 1990.

نافذة على العالم
نيكولاي نيكراسوف (١٨٢١-١٨٧٨)

•د. ممدوح أبو الوي

ولد في أوكرانيا، والده ألكسي نيكراسوف، من أسرة غنية، كان والده ضابطاً في الجيش الإمبراطوري الروسي. والدته بولندية تنتمي لطبقة النبلاء . أمضى طفولته في قرية والده، بالقرب من نهر الفولغا.

كان والده يعامل والدته معاملةً قاسيةً، وكذلك فلاحيه. وكان نيكراسوف معجباً بوالدته. درس في المدرسة مدة خمس سنوات. أرسله والده إلى العاصمة بطرسبرج عام 1838 إلى الأكاديمية العسكرية، ولكنه تركها ودرس في الجامعة، فغضب عليه والده. وقطع عنه المساعدات المالية.

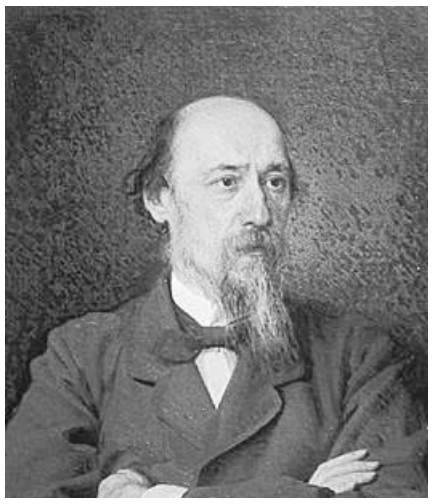
نيكولاي نيكراسوف

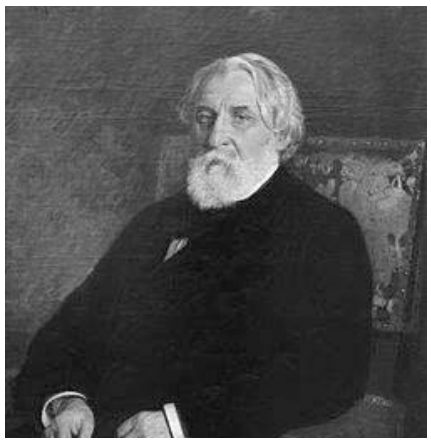
تورغينيف

نيكراسوف والحب:

التقى نيكراسوف عام 1843 أفدوتيا بانايفا، زوجة الكاتب إيفان بانايف. وكانت إحدى جميلات روسيا، جذابة وشقراء وذكية ومستقيمة وصاحبة صالون أدبي. اجتمع في بيت زوجها أدباء مثل إيفان تورغينيف (1818-1883)، وبيلينسكي(-1811 1848)، وتشيرنيشيفسكي(-1828 1889)، ودوبرولوبوف (1836-1861). وكان زوجها طائشاً وزير نساء. وقع في حبها فيدور دوستويفسكي (1821-1881) ولكنّها لم تبادله الحبَّ. وحاول نيكراسوف جذب انتباه السيدة بانايفا، وكان عمره آنذاك ستة وعشرين عاماً ،إلا أنّها رفضته في البداية، وكاد أنْ يقدم على الانتحار. تبادل نيكراسوف وأفدوتيا في إحدى الرحلات الاعتراف بالحبِّ. وعاشا بعد ذلك معاً بوجود زوجها في بيت زوجها مدة ستة عشر عاماً، إلى أنْ تويفي زوجها الشرعي إيفان بانايف عام 1862.

لم يتقبل المجتمع هذه الأسرة غير التقليدية المؤلفة من زوج وزوجة وعشيق وأدانها بقسوة. وتحدّث الناس عن نيكراسوف الذي يعيش في بيت غريب مع زوجة صديقه، وترجم بعض الأصدقاء هذه الإدانة بابتعادهم عن الشاعر نيكراسوف. ومع كلِّ هذا كان نيكراسوف يشعر بالسعادة، ونظم خلال هذه الفترة من حياته قصائد جميلةً، كانت عشيقته تساعده في نشاطه الأدبي. وأنجبت بانايفا طفلاً من نيكراسوف لم يعش طويلاً. وبموت الطفل اهتزت العلاقة بين نيكراسوف وعشيقته. ومرض نيكراسوف وبعد ذلك مات الزوج الشرعي إيفان بانايف، فتركت بانايفا عشيقها نيكراسوف، الذي بقي يحن إليها، وذكرها في وصيته التي كتبها قبيل وفاته.

الشاعر والممثلة الفرنسية سيلينا:

سافر نيكراسوف في أيار عام 1864 لمدة ثلاثة أشهر إلى أوروبا الغربية، أمضى معظمها في باريس. رافقته في هذه الرحلة أخته آنّا والممثلة الفرنسية سيلينا ليفرين، التي تعرف إليها في بطرسبرج عام 1863، وكانت الممثلة سيلينا كثيرة الحيوية والنشاط. وسافرت مرةً أخرى برفقة نيكراسوف عام 1867 إلى باريس ولم تعد إلى روسيا. والتقى نيكراسوف بها في فرنسا عام 1869، وقضيا شهر آب معاً يستجمان على شاطئ البحر . وتذكرها بعد عودته إلى روسيا، وأرسل إليها المساعدات المالية . وأوصى لها في وصيته الأخيرة قبيل وفاته بعشرة آلاف ونصف روبل.

زواجه:

تعرف الشاعر فيما بعد إلى فتاة قروية بسيطة وغير متعلمةً اسمها فيوكلا، عمرها ثلاثة وعشرون عاماً، وكان عمره ثمانية وأربعين عاماً، رافقها إلى الحفلات المسرحية والمعارض، وحفظت قصائده وأعجبت بها، وعقد قرانه عليها، وعاش معها السنوات القليلة المتبقية من حياته، ومع هذا بقي الشاعر يحن لعشيقتيه: الروسية بانايفا والفرنسية سيلينا، ونظم قصائد جميلة بحبيبته الأولى بانايفا.

> قال دوستويفسكي في تأبينه: أعظم شاعر روسي بعد بوشكين وليرمنتوف.

الشاعر والولع بالقمار بالإضافة لغرابة حياة نيكراسوف الشخصية، انتقل إليه بالوراثة الولع بالقمار، بفارق أنَّ أجداده كانوا يخسرون، وخسروا الكثير من الأراضي والأرزاق والأموال. أمَّا هو فكان يربح دائماً وكثيراً، واستعاد الكثير من أراضي أجداده بلعبه بالقمار. ولعب نيكراسوف القمار مع وزير المالية في عهد القيصر ألكسندر الثاني، الذي حكم روسيا ستةً وعشرين عاماً ما بين (1855-1881)وربح من هذا الوزير

دوستويفسكي

ليرمنتوف

بوشكين

أصدر ديوانه الأول بعنوان "أحلام وأصوات"، الذي انتقده بيلينسكي نقداً لاذعاً. ولذلك سحب نيكراسوف جميع النسخ من المكتبات.

مبالغ طائلة تكاد تكون أسطورية، لدرجة أنَّ نيكراسوف أخذ يشفق على هذا الوزير.

الشاعر وهواية الصيد:

انتقلت عدوى أخرى إلى نيكراسوف بالوراثة وهي هواية الصيد، فكان يمضي في الصيد يوماً كاملاً من بزوغ الفجر حتَّى منتصف الليل. ويأخذ معه زوجته وأفخر أنواع الخمرة والأطعمة وقطيعاً من الكلاب، ويصطاد الطيور والأرانب والدببة. ويرافقه أحياناً الروائي إيفان تورغينيف (1818-1883)، ولكنه اختلف معه إذ طلب نيكراسوف من صديقه تورغينيف أن يشتري له بارودة صيد إنكليزية من نوع لانكستير من لندن في أثناء وجوده هناك، ولم يشر تورغينيف. ومارس هواية الصيد ثلاثة وأربعين عاماً، وتخلى عنها نهائياً ، إذ أطلقت النار بالخطأ زوجته فيوكلا على كلبه الأسود المحبب في إحدى رحلات الصيد، فعلق الشاعر بارودة الصيد على مسمار ونسيها معلقةً.

نشاطه الأدبي :

أصدر ديوانه الأول بعنوان "أحلام وأصوات"، الذي انتقده بيلينسكي نقداً لاذعاً. ولذلك سحب نيكراسوف جميع النسخ من المكتبات. تعاون نيكراسوف مع بيلينسكي في مجلة "مذكرات وطنية" ما بين عامي 1843-1846،عمل نيكراسوف رئيساً لتحرير مجلة" المعاصر" مدة عشرين عاماً من عام 1846-1866، وكان الشاعر الروسي العظيم بوشكين(1799ـ1837) قد أسس المجلة المذكورة. ونشرت المجلة الرواية الأولى لدوستويفسكي(1821-1881) وهي رواية "الفقراء"(1846)، وأُغلقت المجلة عام 1866 ،واعتُقل أحد محرري المجلة وهو تشيرنيشيفسكي(1828-1889) قبل إغلاقها بأربع سنوات أي عام1862.

اشترى نيكراسوف عام1866 مجلة "المذكرات الوطنية"،والتي لاقت نجاحاً كبيراً في السنوات العشر التالية. نظم الشاعر قصائد كثيرة منها، قصيدة "ساشا"، و"فارس ساعة"، و" من شدة أوهامي، دعوت نفسي"، "الجد مازاي والأرانب البرية". ومن أشهر قصائده "النساء الروسيات"(1871-1872) وتتحدّث عن زوجات الديسمبريين الذين ثاروا على القيصر الجديد نيكولاي الأول الذي حكم روسيا ثلاثين عاماً من1825-1855، بعد وفاة ألكسندر الأول الذي حكم روسيا أربعةً وعشرين عاماً ما بين (1801-1825)، وحُكم على بعض الثوار بالنفي إلى سيبيريا، فرافقتهم زوجاتهم إلى المنفى.

وقصيدة "من سعيد في روسيا؟"(1863-1876) يسأل سبعةُ فلاحين الآخرين: من سعيد في روسيا ؟ ولا يوجد سعداء.

قال دوستويفسكي في تأبين نيكراسوف: أعظم شاعر روسي بعد بوشكين وليرمنتوف. وهتف أتباع نيكراسوف حينها: بل كان أعظم !.

عقدة بلوتو

•رندة عوض

المشرفة التربوية الآنسة صباح ربتت على كتفي ومسحت على شعري بلطف على غير عادتها. أخذتني للإدارة، وبعد نقاش حالتي همست المشرفة للمديرة: مدرسة العلوم سامحها الله توسعت بالشرح عن بلوتو، واصفة مأساته، لم تراع شعور بعض التلميذات، انظري إلى ما حلَّ بابنة الصف الرابع بيان التي ترتجف خوفاً وهلَعاً.

-المديرة: ما تشخيصك للحالة ؟

الأنسة صباح: أصيبت بعقدة بلوتو؛ الله يبعدها عنا وعنك !

يا إلهي ألا تكفينا عقدة أوديب؛ أصبحنا اليوم بعقدتين.

معروف عن الآنسة صباح خشونتها، ومع ذلك لا تستخدم العقاب البدني، بل لسانها السليط الذي يعادل حزمة عصي، انطلق صوتها: ردينة رافقي أختك بيان للبيت، دعيها ترتح اليوم وغداً حتى تتعافى. طوال الطريق بدا على أختي التذمر، ماذا تقول لأمي، طرقت الباب فإذا برائحة البامية تستقبلنا قبل أمي .

- ما الذي أتى بكما! وما بال بيان تبكي!

أومأت ردينة برأسها وشدت على يدي، بمشهد تمثيلي استعرضت من خلاله حنانها لتكسب دعاء وحبَّ أمي، ثم أردفت: شرحت مدرسة العلوم درس» المجموعة الشمسية واتفاقية طرد بلوتو» مما أثار الرعب بنفس بيان، فأخذت ترتجف وتبكي طوال الدرس.

لم تعر والدتي الأمر أدنى اهتمام. أسرعت للمطبخ لسكب البامية. لحقت بها أسألها عن حجم بلوتو .. وهل هو أكبر مني أم أصغر؟!

- يا حبيبتي بلوتو كوكب صغير لكنه أكبر منك ومني.

- هل يعادل حجمه ملعب العباسيين؟

- أظنه أكبر بكثير.

- وهل يبعد عنا بعد الصالحية ؟

- بل أبعد بكثير.

- إذاً لمَ طرده العلماء من المجموعة الشمسية !

- دعيَ هذا للعلماء والفلكيين وهيا نأكل.

- من هؤلاء؟

- ثلة فهمانيين.

- أخشى أن يطردنا الفهمانون من بيتنا كما طردوا بلوتو.

- لا تخافي يا حبيبتي لا أحد يجرؤ على طردنا من بيتنا.

استمر الجدال مدة طويلة أنهته أمي بمطالبتنا أن نحضر كتاب العلوم، أحضرته ردينة بسرعة البرق. فتحت والدتي الغلاف، وقرأت أسماء المؤلفين والمعدين وأضافت اسم وزير التعليم، ثم رفعت يديها، وانهالت بالدعاء عليهم. طلبت من ردينة أن تأخذني لبيت جارتنا نبيلة زوجة الأستاذ سليم مدرس الرياضيات، لعله يشرح الموضوع فتزيل مخاوف بيان. إلا أن الأستاذ سليم لا يتعدى على اختصاص غيره، لا يعرف غير اللوغاريثم والجذر التكعيبي مما سيزيد الوضع سوءًا.

كما توقعنا كانت ليلة عصيبة هاجمتني الكوابيس من كل حدبٍ وصوب، رأيت بلوتو يبكي ماداً يده مستجدياً: أعيدوني لأصدقائي ودعوني أدر معهم حول الشمس، فزعتُ واستيقظت مرات عدة، وبفضل شراب أمي الدافئ وبمفعوله السحري هدأت ونمت. صباحاً علمت من ردينة أن الشراب السحري ما هو إلا شاي بالحليب لا أكثر ولا أقل.

مرتْ عشر سنوات على هذه الحادثة وكثيراً ما ذكرتها ردينة أمام الضيوف كنوع من الفكاهة ولإغاظتي من جهة أخرى. هكذا تخلصتُ من عقدة بلوتو التي تلبستني لفترة ليست بقليلة.

إلا أن الحرب قلبت الأمور فقدنا بيتنا الصغير بشرفته الضيقة كصندوق الدنيا، التي ترينا كل ما يسر ويفرح. طُردنا منه فتلحفنا رصيف الحديقة، ثم نزحنا من ساحة البلدة، وركلنا خارج الحدود .أشعر بعمق حزن بلوتو أكثر من أي وقت مضى.

أما ردينة فهي الآن بألمانيا وأمي على الطرف الآخر من الكرة الأرضية، عندما نحدث بعضنا بعضاً، تنهمر سواقينا. تسألني والدتي كيف حالك يبدو وجهك شاحبًا، لا تدعي الحزن يحفر خندقه بوجنتك، ولا تتركي نفسك اذهبي للطبيب.

أجيبها: ذهبت وأخبرني أن عقدة بلوتو عادت أقوى من قبل، ألا ترين كيف تتدلى من وجهي كخرطوم فيل، لم أعد أقوى على رفع رأسي .هل تذكرين يا أمي درس العلوم! أخبرتك يومها أنني أخاف أن نطرد من بيتنا، انظري أين أوصلتنا ثلة الفهمانين .

عادت أمي بذاكرتها خمس سنوات، إلى ذلك اليوم المشؤوم على الحدود السورية، كنا محاطين بخبراء من المهربين، طرح كل واحد عرضه وخارطة طريقه، العرض الأول: من تركيا إلى اليونان ثم إيطاليا وصولاً لألمانيا. بينما اقترح الثاني السفر إلى مصر فليبيا ومنها إلى تونس للوصول لفرنسا. تتالت العروض والخرائط ترسم طريق النجاة إلى المجهول، لم يلحظ أحد انسحابي، لا شيء معي سوى خارطة فلكية تكفيني لاختار طريقي. استدارت أمي نداؤها خرق جدار الصوت، وسبق سرعة الضوء « بيان أين أنت !»

تردد صدى صوتها: «لا تحزني يا أمي أنا مع بلوتو الذي مدَّ يده لي هذه المرة.»

بيان وبلوتو يجلسان على حافة المجرة الكونية بأصابع متشابكة، هو يدور حول الشمس على أمل الرجوع، وهي تطوف حول سورية.

هذا الإنترنت اللعين!

• رمال حديفة

مشاعر وأحاسيس مبهمة تطلُّ عليَّ، وتقتحم وحدتي. أحاول أن أتبينها، لكنها تهرب من الضوء. بعد حين، تتألق في مخيلتي صورٌ منسيةٌ بين ركام الذكريات: صبيةٌ متورِّدةُ الخدّين تنساب برقة فراشة وطراوة نسمة. في عينيها ألق الصيف، وعلى ملامحها ارتسمت أنوثة ساحرة تبعث التفاؤل وإرادة الحياة في الشباب، والحسرة فيمن تقدم به العمر، ولم يترك له سوى الذكرى.

عندما رأيتها أول مرة، خلتها سقطت عليَّ من الجنة. نعم من الجنة! وعليَّ تحديداً، لا على سواي. وها أنذا أستعيد صورتها بعد مرور السنين، ولا أدري فيما إذا كنت سأفرح أم أحزن أم أتعجب لأنها لا تزال تحتفظ بمكانها المميز في حنايا القلب النابض، ومجرى الروح الذي أصبح أضيقَ ما يكون بسبب التدخين والأحلام، وتباريح الأيام.

حين فاجأتني صورتها البراقة، وبدَّدتْ ظلمةَ النفس، سَرَتْ بي تياراتُ الحنين، فاكتويتُ بالوجد، وأطلقتُ آهاتٍ أحرقَت الليلَ وأحرقتني!

بعد أن أنهيت المرحلة الثانوية، قصدت الجامعة، فذهبت إلى دمشق. آه يا دمشق! كم كنت أحلم بك يا حلوتي. كم تخيلتُك وأنتِ تفردين ذراعيكِ نحوي. تطوقينَ عنقي بحنان. تراقصينني على ضوء قناديل قاسيون، وخفقان أجنحة الحمام في الحارات القديمة، وخرير مياه الأيام الخوالي، التي كانت تنسابُ في بردى ذات يوم.

والآن، وقد تحقق حلمي، ها هو ذا الفقر يقف بوجهي، ويمنعني من الطواف فيها كل يوم، إذ لا أملك من النقود ما يكفي لدفع إيجار سكن خاص، والسكن الجامعي يقتصر على طلاب الكليات العلمية. حللتُ ضيفاً على زملائي لبعض الوقت، ثم قررتُ أن أختصر دوامي في ثلاثة أيام، وأعود إلى مدينتي، لأنني لا أحب أن أبدو ثقيلاً على الآخرين.

كنت عاشقاً للغة العربية، مهووساً بشعر الغزل، رسمت مع جبران ونزار صورة محبوبتي، وبكيت مع جميل وبثينة آلام الفراق. لكني كنت متأكداً في الوقت نفسه، أن الحب في أفواه الأدباء وعلى دفاتر الشعراء، ليس إلا وهماً وخيالاً. بقيتُ كذلك إلى أن حملتني تلك الفتاة على جناح الأحلام، فعزف قلبي ألحان الهيام.

أتاني هواها على غير موعد. تمكَّن مني، وأشعل النور في نفسي. حاك رداءً يدفِّئ الروح ويذيب جليد الأيام.

حين رأيتها مع شهد – صديقتها التي تعرفت عليها أثناء إعدادي لحلقة البحث- رأيتها ملاكاً بجناحين، خفتُ أن يتوارى إذا ما حوّلتُ نظري عنها، تمنيتُ أن يطول الكلام، وعندما تركتهما، تركت قلبي معها، وسرتُ متأملاً أن تلحق بي كي أسترده.

ما هذه التصرفات الصبيانية يا أمجد؟ ألا تعلم من أنت ومن هي؟ أهكذا تضرب العادات والتقاليد عرض الحائط؟ هل ستتزوجها؟ أهي من طائفتك؟

أيتها الطوائف المقيتة اغربي! لكن الطوائف لم تغرب، بل ظلت تنظر إلي من قبور بائدة، وتمد لسانها نكاية بي. حينذاك خفتُ عليها. تصوروا. أخاف على حبيبتي من حبي لها. لذلك، لذتُ بالصمت، ولم أبح بعذابي لأحد.

غير أن حبيبتي ظلت تسيطر على خيالي. رحتُ ألوذ بأحلام اليقظة: أشرد كي أبني لها قصوراً في بلدٍ آخر، بل في جزيرة أخرى، جزيرة نائية، حيث نعيش وحيدين، نأكل من ثمارها، وننام في عرائها.

ولكن لماذا أتحجج بالعادات والتقاليد؟ أعترف بأنني كنت جباناً! لقد أحببتها ولم أجرؤ على أن أصارحها بحبي، هذا كل ما في الأمر.

لا، لا، لم يكن الأمر كذلك، فقد جلستُ يوماً في المدرَّج. ولم أكن أدري إن كنت جالساً بانتظار قدوم الأستاذ لإلقاء المحاضرة أم كنت أنتظرها. حين وقفَتْ في الباب، غرّد قلبي كعصفور يزقزق عند الصباح. رأيتها تنظر إلي. ربما أنها سمعت غنائي، أو أنها أرادت أن تلفت نظري، فالأنثى تبحث عمن يشعرها بجمالها، ويداعب أحاسيسها، فيُرضي أنوثتها.

وددت لو تأتي لتجلس بجانبي، لكنها اختارت مقعداً فارغاً. دخل أحد زملائها، جلس بجانبها، وتحادثا معاً. شعرتُ حينها أنه يعتدي على حق من حقوقي. اجتاحني زلزالٌ من السخط والغضب، وربما الحسد. هممتُ أن أصرخ فيه. وددتُ لو أهجم عليه وأحطم وجهه. نظرت إليه فأدرك ما بي، وولى سريعاً. حينذاك خرجَتْ حبيبتي من المدرج بهدوء، فخرجتُ خلفها بحذر.

صباح الخير!

صباح النور!

كدتُ استمر في الحديث، بيد أنها ارتبكَتْ، وحاولتْ إخفاء ارتباكها بابتسامة صغيرة. لا، لا! يبدو أنني أنا الذي ارتبكتُ حينذاك، لأنني أخفضت رأسي، ولم أقل لها أيَّ شيء.

مرت أيامي أراقبها من بعيد. في كل يوم تزداد المسافة ما بيننا. سمَّيتها مليكتي ولم تكن ملكي قط. حين أنهينا دراستنا الجامعية، وتخرجنا من الجامعة، أصبحتْ ألوان الروح باهتة، فتركتُ للزمن فرصة إعادة تلوين حياتي من جديد. حصلتُ على فرصة عمل في الخليج، تزوجتُ، وأنجبتُ أربعة أولاد.

كانت زوجتي رائعة. تحمّلت معي مصاعب الغربة. تحمّلت مزاجي السيء، وكادت أن تدفع ثمن أحلامي الضائعة.

آه يا زوجتي الطيبة. أنا لم ولن أخونك بالقطع. لكن الفيس بوك اللعين وضع أمامي اسمها دفعة واحدة. حينذاك قفز قلبي من مكانه، ففاضت أنهار العشق بعد غيض. أشرقَتْ صورتها في خيالي من جديد، فركبت سيارتي وذهبت إلى العمل وأنا أشعر بسعادة غامرة، بينما كانت زوجتي تتفحص بدورها صفحاتِ الفيس بوك، وتبتسم!

أدب المقاومة للدكتور نذير العظمة في ثقافي جرمانا

•وليدة عنتابي

أقام المركز الثقافي العربي في جرمانا محاضرة فكرية أدبية حول أدب المقاومة ، استضاف فيها الدكتور نذير العظمة.

قدم للمحاضر الأستاذ منهال الغضبان رئيس المركز الثقافي في جرمانا معرّفا بالدكتور المحاضر ، ومقدما للمحاضرة .

بدأ الدكتور المحاضر بذكر المراحل التاريخية التي تعرّضت لها سورية الحبيبة فوجد أن أبلغ نموذج حيٍّ لوحدتنا الوطنية تجلى في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الأولى، حين احتلت الجيوش الفرنسية والانجليزية سورية الحبيبة ، وعبرت إلينا التواريخ والأزمنة على دم شهدائنا ، فاحتلوا الساحل السوري قبل أن ينفذوا إلى الداخل على أشلاء معركة ميسلون.

ومنذ أن شرع يوسف العظمة ببناء الجيش السوري كرئيس للأركان أسس مكتبا خاصا في قيادة القوات المسلحة لاستقطاب الحركات الشعبية التي كانت بطبيعتها وفطرتها القومية تفضل المقاومة مقاومة الغزاة على المساومة . فاجتمع يوسف العظمة مع الشيخ صالح العلي في قرية السويدة أرض معركة من معاركه الباسلة في تصديه للاحتلال الفرنسي للساحل السوري فكان الجيش والشعب جبهة واحدة لصيانة الهوية القومية وحماية السيادة والكرامة والاستقلال ، وانضم إليهما إبراهيم هنانو وقامت اجتماعات ولقاءات ، لتمكين وحدة الصراع أدت إلى اتخاذ قرار موحّد أكد أن المقاومين على مختلف فصائلهم وشرائحهم أعلنوا أن دمشق هي عاصمة القرار القومي لحماية الهوية الوطنية والدولة من أطماع الاتفاقات السرّية التي عبرت عنها القوى الفرنسية والانجليزية ووعد بلفور وسان ريمو وسايكس بيكو، وشرعنة حقوق الانتداب التي تجاهلت المؤتمر السوري الذي انتخبه السوريون ليمثل سورية الطبيعية ككل بأعضاء من الشام ولبنان وفلسطين والعراق ، والتضحيات ، تواصلت وتكاملت برؤيا وإرادة قومية لا تتجزأ ، تكرم كل شهداء سورية و أبطالها الذين حققوا تمسّكنا بالحرية والاستقلال والهوية القومية بخصوصيتها الحضارية ووحدتها الوطنية .

ثم يواصل الدكتور المحاضر قائلا : إن وحدتنا الوطنية تجلت مرّة أخرى في الثورة السوريّة (1926) حين عانقت دمشق وغوطتها جبل العرب وعبّر عنها أروع تعبير كل من الدكتور عبد الرحمن الشهبندر وسلطان باشا الأطرش ، ورفعا شعار : الدين لله والوطن للجميع ، راية أوليّة للثورة .

إننا مع هؤلاء الأبطال الرّواد : الشهيد يوسف العظمة والشيخ صالح العلي وسلطان الجبل والشهبندر ، نصنع مصيرنا بأيدينا ودمنا ، ويعود

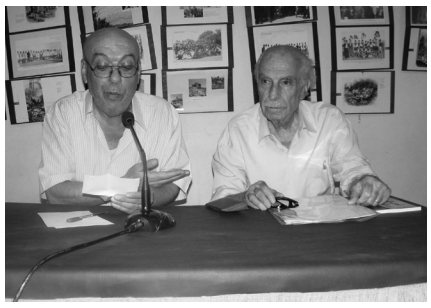

تاريخ الصراع اليوم حيّاً مرة أخرى فننهض إليه بوحدتنا الوطنية ونقول للعواصم الشرقية والغربية لا سفارات بين كيانات الوطن الواحد ، ولا قوات دولية . هذا هو إيماننا . إن بروتوكولات سايكس بيكو ووعد بلفور و أخواتها باطلة بدم الشهداء . ووحدتنا صامدة باقية .

كل هؤلاء القادة عبّروا عن قناعة راسخة وإيمان أصيل بأن سورية وطن واحد لشعب واحد . ولم ينطلقوا من انتماءاتهم الدينية أو الطائفية لا بمواقفهم وأفعالهم العامة فحسب ، بل فيما تركوا لنا من آثار مكتوبة أو منطوقة .

المواطنة إذن هي أساس الشراكة الوطنية على الأرض الواحدة التي فرضت المعاهدات الدولية تجزئتها ووضعتها تحت الوصاية أو الرعاية مؤقتاً لتستكمل شروط استقلالها كما زعموا ، وقدرتها على الحياة الديمقراطية .

إن من يفكر بالولاء الطائفي اليوم ينفّذ ما ذهب إليه الفكر الصهيوني والجنرال غورو من تمنيات باطلة بإنشاء دول مجزأة على الأرض السورية التي قسمتها أصلا معاهدة سايكس بيكو إلى دول لأوطان لا تفصلها حدود طبيعية ، وتتدخل حيواتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية

والفكرية في نشاطاتها اليومية ، وتشترك بالأرض الواحدة والتاريخ المشترك والمصير الواحد .

وأكد الدكتور المحاضر أن صورة بلادنا الشابة وحيويتها الإنسانية لا تكتمل إلا إذا درسنا عقائدها المعاصرة ، وبرنا روحها المتوثبة ، نحو الحداثة والوحدة.

مفكرو الطليعة عندنا يجمعون على النزوع نحو الحداثة ، دون أن يستأصلوا جذورهم العميقة في تربة التاريخ ، ومعاناتهم المعاصرة إذ تتوسّل قناعات إيدو لوجية تعقد العزم على تحديث الفكر والفن والإدارات التربوية والاقتصادية والدفاعية والسياسية ، والقرار السياسي لا يستقيم إلا بالإبداع الفكري والمادي والفني والمعاناة الإنسانية ..

إن قرار التحديث والمعاصرة هو بشكل ما قرار المقاومة والنهضة والولادة من ركام التاريخ مرة ومرة ومرة .

وحين تجمع عقائدنا الحديثة على النهوض من الموت وتوسّل الإنسان والعقل والحرية ، تصبح بشارة من أجل القيامة .

وعن الثقافة قال : إنها خبز الحياة و الإنسان وبدونها تصبح السياسة روتينا إداريا . وأن ولادة الإنسان الجديد تحتاج إلى الحيوية النادرة ، والضحية الفذة من الجيل تلو الجيل ، لترفع قاماتنا إلى الشمس . واستشهد الدكتور الشاعر بقصيدة له أقتطف منها ما يلي :

سوريانا
سوريانا أيها النبض الذي شعشع ضوءاً في دمانا
أيها الفجر الذي نحمله طفلا طريا
يفجأ الليل بأنوار ضحانا
أمّة سيّدة واحدة
وقفت في غضبة الشعب كيانا
ترفع الروح إلى أوج الثريا
نغما يقطر حبّا وحنانا ..

ثم يقرأ قصيدة أخرى له بعنوان : ميسلون أقتطف منها مايلي :

ميسلون ميسلون
كل بذل في سبيل الأرض والحق يهون
يارفاتُ المجد ظلي شعلة عبر القرون
علمينا كيف نرقى بالشهادات المنون
أطلعي جبهتك الشماء في عالي الحصون
وأضيئي غدنا أيها النجم الحنون
ارفعي يا أمّة الأجيال هامات السنين
ههنا نشمخ في وجه الأعادي قاسيون ...

ثم يورد الشاعر ثلاث قصائد جديدة أولها مقدسيّ يخاطب ابنته :

آه يا سلمى تعالي نطبخ البحص الذي قد تأكلونه
ليس سور القدس إلانا ، فهل تخ الحجر؟
ربما نأكل بحص الوهم في ضوء القمر
ربما يأكلنا الدالذي يلبس أشكالا حنونة ..

والقصيدة الثانية : فتك الصعلوك

أورد منها:

لا تيئس يا ابن أخي لا تيئس
فالله معك إن كنت معه
وإذا دفنوك
انصتِ في العمق إلى صوت اليرموك
وتذكر إعجاز الغار
....

ثم ينتقل إلى عروس الجنوب الشهيدة سناء محيدلي معرّفا الشهيد تعريفا جميلا لافتا ، إذ يقول : الشهيد هذا المخلوق النادر هو خميرة الخلق وأبجدية المصير، والأمّة التي لا شهداء لها لا ذكر لها في ذاكرة التاريخ .

تحرير الإنسان وتحرير الأرض هو الحلم الذي يحرّك عروس الجنوب إلى الفرح بالموت .

ترفض الرّاهن وتتعلق بالدائم ، ومع إدراكها لهشاشة الحاضر وضعفه ، تؤمن أن الانتصار يبدأ من بنية الفرد ونفسيته.

الشهيد إضاءة سريعة في عالم هش لكنها وهج يخرج الأمّة من قبر التاريخ إلى ملعب الشمس ..

ثم ينتقل إلى مخ اطبة الطفل قائلا :

هلا أيها الطفل يا زمن الحب
كيف يلفك هذا الوشاح الذي يقطر الدم
والأفق رحم
ألم يبق في الأرض غير حصاد الطفولة قانٍ؟
فيا موسم النبض والأرجوان الذي صار حلمًا
ورف العصافير على الفجر
نوح النواعير على الماء
فيض الأمومة لا لا مل من الخصب ..
يغمر هذا الزمان الرديء
بصدر حنون
فيضحك وجه الشهادة للموت
تنهض هذي الظلال
زمان الولادة
بحت حناجرنا أأيها الفجر
قم بالجناح الجريح
إلى ذروة الدهر وابق مع الحب
نبض الولادة في رحم لا يموت
ونبعا من الحب فجره الطفل باللثغ والأغنيات
وأطلعه اللون أفقا حميما
هنا لوحة وهنا لوحة وعيناي في سفر الروح

يا نشوة بين تلك الظلال ودمدمة في حنايا الصدور...

وفي نهاية المحاضرة جرت مداخلات وحوارات حول ما طرح في المحاضرة ، وكان من أبرز الطروح تمنيات بعض الحضور على المحاضر أن يكون الحديث عن أدب المقاومة بشكل عام متناولا نصوصا لشعراء آخرين و مختلفين . دون أن تنحصر الاستشهادات بنصوص الشاعر المحاضر حصراً .

مخطوطات .. إلى المطبعة!

اتخذ المكتب التنفيذي لاتحاد الكتّاب العرب قراراً بالموافقة على طباعة الأعمال الأدبية الآتية :

- آفاق — عبد الكريم الناعم
- بائع الكتب — عياد عيد
- أنا امرأة الأرض — ليندا إبراهيم
- تعويذة — غسان كامل ونوس
- من الديوان السوري — إسماعيل مروة
- خواتم في أصابع الصدى — بديع صقور
- تراتيل للعشق والأرض — وائل أبو يزبك
- ويشبهني الصباح — أيمن الحسن
- صرخة مقاتل — كنان محمد
- غزلان الندى — علي المزعل

وقد أخذت هذه المخطوطات طريقها إلى المطبعة

دور واسط العسكري والإداري في المشرق

كتاب جديد للباحث العراقي المعروف الدكتور رحيم هادي الشمخي صدر حديثاً عن دار العراب بدمشق، وجاء تحت عنوان (دور واسط العسكري والإداري في المشرق)، وفق فيه على جوانب تاريخية، واجتماعية، وثقافية، واقتصادية، وعسكرية، فأبرز لأدوار التي لعبها الأعلام من جهة، والأدوار التي لعبتها الظروف والأحداث من جهة أخرى، وذلك في الفترة الواقعة بين (700 و749) ميلادية.

جاء الكتاب في حوالي 215 صفحة من الحجم الوسط، وهو يغطي فترة تاريخية شديدة الحيوية من الحياة العربية التي كان همها آنذاك العمل والبناء والمحبة.

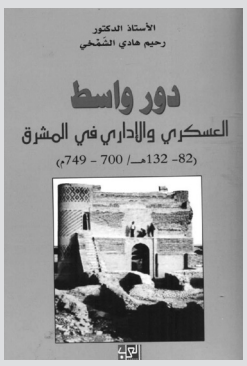

الأسبوع الأدبي

المراسلات

الجمهورية العربية السورية - دمشق -ص.ب(3230) - هاتف 6117241-6117240 -فاكس 6117244- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير. هاتف الاشتراكات 6117242

ثمن العدد داخل القطر 25 ل.س - في الوطن العربي: 0,5 $ خارج الوطن العربي1$ أو ما يعادله. تضاف أجور البريد للمشتركين خارج سورية

الاشترك السنوي -داخل القطر:أعضاء اتحاد الكتاب العرب 700 ل س - للأفراد2000ل.س -وزارات ومؤسسات2400ل.س - في الوطن العربي:للأفراد6000ل.س أو150$ - للوزارات والمؤسسات 8000ل.س أو175$-خارج الوطن العربي:للأفراد 20000ل.س أو 360$ - للمؤسسات30000ل.س أو420$ والقيمة تسدد مقدماً بشيك مصرفي لأمر اتحاد الكتاب العرب -دمشق ويرجى عدم إرسال عملات نقدية بالبريد.

الآراء والأفكار التي تنشرها الصحيفة تعبر عن وجة نظر كاتبها

www.awu.sy

E-mail :
alesboa2016@hotmail.com

للنشر في الأسبوع الأدبي

يراعى أن تكون المادة:
- غير منشورة ورقياً أو عبر الشابكة.
- منضدة ومراجعة ومدققة مع مراعاة التشكيل حين اللزوم، وعلامات الترقيم.
- ألا تتجاوز المادة المرسلة /800/ ثمانمائة كلمة.
- يرفق مع المادة CD أو ترسل عبر البريد الالكتروني aru@tarassul.sy
- يرفق مع المادة الصور المناسبة إذا لزم الأمر.

أعلام

د.عفيف بهنسي

- أديب، باحث، ودارس، وخبير آثار
- ولد في مدينة دمشق سنة 1928
- دكتوراه دولة من السوريون عام 1978
- عمل مديراً للفنون الجميلة (1962-1971)
- عمل مديراً عاماً للآثار والمتاحف (1971-1988)
- أستاذ التاريخ والفن والعمارة في جامعات عالمية وعربية، وفي جامعة دمشق منذ عام 1959.
- نال أوسمة وميداليات كثيرة تقدير، لأعماله ومساهماته العلمية.
- عضو اتحاد الكتاب العرب – جمعية البحوث والدراسات

من مؤلفاته:

- الفنون التشكيلية في سورية1960-
- الفن عبر التاريخ – 1962
- الفن والقومية – 1965
- أثر الفن الإسلامي في الفن الحديث 1970
- علم الجمال عند أبي حيان التوحيدي 1972
- معجم مصطلحات الفنون (ثلاثي اللغات)
- الفنون القديمة
- معجم العمارة
- الفن في أوربا
- العمارة العربية
- تاريخ دمشق العمراني
- النقد الفني وقراءة الصورة

آخر الكلام

وطن المعجزات

أ.محمد حديفي

تحاصرني الجهات.. يشعل القلب آخر شمعة يدخرّها.. القلب استهلك كل شموعه..

فالعتم سيد الوقت، والروح محاصرة، وأنا الموزع بين مشهد يعرض صورة الوطن وهو يُذبح من الوريد إلى الوريد، وبين حلم يرسم ضوءاً يشهق في آخر النفق حيث الروح ترمح مثقلةً بجراحها النازفات في كهف تتوالد في عتمته قطعان الذئاب والضباع التي قدمت إليَّ من جهات الأرض مثقلةً بالحقد ومتعطشةً لدمي ودماء الأبرياء من أبناء هذا الشعب...

فيا وطني المجلل بالدمع والدم، يا أيها الراسخ كالأبد بين أروقة الروح وفواصل القصيدة سنكتب معاً: السهولُ والهضابُ والجبالُ ستعلن قيامتها، وتشعل نارها التي لا تنطفئ كي تنير الدرب الممتد من قلبي إلى الفجر، وتحرق بلظاها كل بؤر الشر والغدر، لترسم الخلود بوحاً على أضرحة الشهداء...

أدرك الآن أن هذا الوطن المستباح التراب والحدود من ذئاب العالم قاطبةً، ومن كل من هو حاقد وطامع بوجود هذا الوطن وبقائه، قد شهد في أزمنة مغرقة بالقدم غزاة قدموا كالجراد من كل حدب وصوب، وعاثوا في الأرض فساداً... قتلوا.. دمروا..أحرقوا.. نهبوا، ولكنهم عجزوا عن البقاء فوق تراب هذا الوطن، فمنهم من دُفن في باطن الأرض، ومنهم من عاد خائباً خاسراً وموقناً أن هذا الوطن الذي تسيجه الإرادة، ويرفع أعلام التحدي والصمود لا يمكن له أن ينحني، أو يركع، أو يهون...

لا آتي بجديد حينما أقول: إن الشعب السوري الآن في محنة قاسية، وهو يصارع من أجل البقاء على قيد الحياة، حيث القتل والنزوح والتشرد داخل حدود هذا الوطن وخارجه هو المشهد اليومي البادي للعيان، وحيث لقمة عيشه مغمسة بالدمع والدم، ولكنه صامد وصابر، وليس مقبولاً أن يكون غير ذلك. لأنه رضع الإباء والشموخ وتقديس تراب الوطن مع حليب الأمهات، وقديماً قيل... تجوع الحرة ولا تأكل بثديها.

نحن الآن في هذا البلد الرائع /سورية/ أمامنا خيار واحد لا خياران، وهو أننا محكومون بصنع نصرنا، فالتراجع أو الانكسار أو الرضوخ وكل هذه المفردات المتشابهة ليست موجودة في قواميس لغة الإباء والصبر والصمود التي نتقنها، والتي حفظناها منذ الطفولة عن ظهر قلب... وبما أنني من المؤمنين جيداً بطلوع الفجر مهما اشتد الظلام وطال الليل، أرى بوادر النصر تلوح بروقاً، وهذا ما يثلج الصدر، وينعش القلب الذي صبر وعانى ولملم جراحه مرات ومرات...

وإن كان هنالك من شيء يقال في هذا المقام.. فليس أقل من أن ننحني إجلالاً وإكباراً واحتراماً يصل حد القداسة لهذا الجيش البطل الذي أثبت على مدى خمس سنوات ونيف أنه جدير بحمل لقب حماة الديار...

يحدث أن نلتقي أحياناً ولو عن طريق المصادفة ببعض من أفراد هذا الجيش الصامد، فندهش لهذه المعنويات المرتفعة والإرادات الفولاذية التي يمتلكها، والتي سرعان ما تنتقل إلى أعماقنا أملاً بمستقبل واعد يعود فيه الوطن شامخاً كما كان وأكثر وهنا لابد لنا من أن نتساءل وبكثير من الحيرة والاستغراب، لا بل والاستنكار أيضاً.. ما الذي يجعل أفراداً من هذا الوطن يهللون لهدم المباني وتشريد السكان وقتل الأطفال وجز الرؤوس، وحين تدعوهم للحوار المنطقي الموضوعي لتوضيح الحقائق ووضع النقاط على الحروف يقولون.. نريد حريتنا؟!! أما عن أية حرية يتحدثون.. لست أدري...

لقد لاحظنا وعلى مدى سنوات المحنة الفائتة أن الذين رفعوا شعار ما يسمى بالربيع العربي/ لم يجلبوا لنا إلا القتل والدمار والنهب وجز الرؤوس وتشريد الآمنين من منازلهم متناسين أن هذا الشعار الذي يرفعونه غباءً قد صُنِعَ خلف البحار بتواطؤ من عملاء الصهاينة في المنطقة، وذلك من أجل أن يتجذر الكيان الصهيوني في منطقتنا أكثر وأكثر، ليتفرغ إلى التوسع والامتداد، ليسيطر على رقعة كبيرة من الأرض قد تشمل الوطن العربي برمته، وعندها نتحول إلى خدم وعبيد لدى هذا الكيان الغاصب المحتل الذي زرعته الإمبريالية الغربية فوق أرضنا من أجل أن يحقق لها مصالحها الدنيئة في السيطرة على المنطقة، وجعلها تابعة لها تدور في فلكها، وتأتمر بأوامرها حتى لو كان الثمن دماء هذا الشعب وحريته الحقيقية التي يموت في سبيلها ولا يفرط فيها مهما كانت التكاليف والأثمان...

أخلص إلى القول: إن هذه المحنة التي ابتلى بها الشعب السوري وهذا القتل والتشرد الذي تعرض له، ويتعرض كل يوم، ما كان ليكون لولا أن الأنظمة العميلة من عرب الجوار، وطغمة حاكمة كهذا العثماني الحاقد (أردوغان) قد تآمروا على الشعب السوري ودفعوا مليارات الدولارات للتدريب والتسليح وتقديم التسهيلات لمجرمي العالم وقتلته كي يلغوا بدماء الشعب السوري، ولكن ذلك كله سيتبدد ويذهب هباءً أمام إرادة وصمود واستبسال هذا الجيش البطل الجيش العربي السوري الذي يمثل شموخ الوطن ورمز عزته وصموده، فهو يكتب تاريخ المنطقة وحاضرها ومستقبلها، وعلى الغازي والطامع والحاقد أن يُذعن ويستجيب.

mouhammad.houdaifi@gmail.com

الأسبوع الأدبي

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن
تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق
أسست وصدرت ابتداءً من عام ١٩٨٦

المدير المسؤول:
د.نضال الصالح
رئيس اتحاد الكتاب العرب

رئيس التحرير:
أ.محمد حديفي

مدير التحرير:
د.حسن حميد

الهيئة الاستشارية:
أنيسة عبود- د. حمدي موصلي-
محمد حمدان- مريم خيربك-
لينا كيلاني- د. نزار بني المرجة -
نذير جعفر -صبحي سعيد

هيئة التحرير:
د.سليم بركات-سوزان إبراهيم
- غسان كامل ونوس.فادية
غيبور-د.يوسف جاد الحق

الإشراف الفني:
نضال فهيم عيسى

رئيس القسم الفني:
مها حسن

جنوب القلب الحرب.. عدوتي!

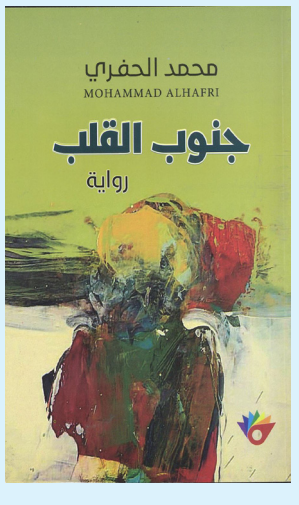

كدت تموت! أنت وعائلتك، ولم يكترثوا للأمر، ولعل عمك ماجد ذلك الكهل الذي يشبه والدك ويكاد يكون نسخة عنه هو الذي نفر عليك الدموع عندما علم بالأمر، وهو من بدت عليه الفرحة ببقائك حيّاً، فما الذي ذكّره فيك، والقطيعة بينك وبين آبائه تكاد تكون شبه تامة!

الجواب:هي الحرب! وهي القلوب الكارهة للحرب!

هذا ما يقوله مقطع من رواية الأديب محمد الحفري الصادرة حديثاً عن (مؤسسة سوريانا) بدمشق، تحت عنوان (جنوب القلب) والتي تعبُّ الهواء ملءَ الرئتين كي تتنفس هواء البلاد التي اكتوت بالحرب، وما تفرّخه من لوعات، وبكاء، وفقد، وغياب، وموت، ونيران، ومواجع، ورماد، وأحزان ومخاوف، وأشواق للأمن والطمأنينة، والهدأة، والرواء، أشواق للروح الوطنية، والعلم، والعروبة، والنشيد الوطني، ومقبرة الشهداء، ووقفة الأمهات ونشورهن، وصباحات الندى، وأغاني المجد والبسالة، وتغريدات الطيور، وألوان الغسق، وجهجهات الفجر، ونداءات المحبة، وأشربة الورد، وماء الزهر، والهتاف العالي: بلادي، بلادي!

رواية (جنوب القلب) للروائي محمد الحفري مكاشفة لما أحدثته الحرب من خراب داخل القرى والمدن والنفوس، وما رمّدته من أحزان، وما باحت به من دماء، وما قطعته من الدروب خراباً، وما أغلقته أو سوّرته بالجلافة المطلقة، والكراهية القاتلة...

الحرب تمشي في أسطر رواية (جنوب القلب) مثلما تمشي النيران في الهشيم، كيما تجهر الأرض صراخاً بما طالها من أذى ودمار، وكيما تجهر النفوس بالدعاء طلباً للخلاص، وكيما تدق القلوب للأيام الزاهيات بالرضا والمكرمات، وكيما ترنو العيون إلى أعشاش السنونو فرحاً بالطمأنينة وقد صارت من أهل الديار!

رواية تصوّر ما حدث في الجنوب السوري.. وهو حريق يشمل كل شيء.. حتى أطراف القلب، فلا تصل إلى الخاتمة إلا وقد شعشع الضوء راهجاً!